فوكوزاوا يوكيتشي ودوره الثقافي في اليابان(1835 – 1901)

م.د. مثنى عبد الجبار عبود

جامعة بابل / كلية التربية الاساسية

Fukuzawa Yukichi and his cultural role in Japan(1835-1901 A.D.)

Lecturer Muthana Abduljabbar Abood, Ph.D.
College of Basic Education/University of Babylon
muthana.abood1985@gmail.com

Abstract

There have been many studies about the importance of the experiences of countries, especially the Japanese one, as such experiences provide valuable lessons that can be used in building a modern state based on sound social, economic and political bases. Given that, this study,which examines)Fukuzawa Yukichi 1835-1901), a notable Japanese intellectual and one of the pillars behind the success of the Japanese experience of reform during Meiji area. Yukichi played a significant role in enlightening the Japanese society and its ruling stratum with modern ideas.

This paper is divided into three main parts. The first part focuses on Yukichi's birth and upbringing)1835-1860). The second sheds light on his foreign trips and their impact on crystalizing his cultural personality)1860-1868). Finally, the last part presents the most notable amongst his enlightment ideas and opinions in various areas)1868-1901).

Keywords: Japan- Fukuzawa- Meiji- Cultural- The West

الملخص

ظهرت العديد من الدراسات التي بُحثت في أهمية تجارب الشعوب الحية، ولاسيّما التجربة اليابانية منها، بوصفها معيناً لا ينضب من الدروس التي من المُمكن الافادة منها في بناء دولة متقدمة، قائمة على أسس اجتماعية واقتصادية وسياسية صحيحة، وبناءً على ذلك جاءت دراسة شخصية) فوكوزاوا يوكيتشي 1735–1901) كونه يُمثل أحد المُفكريين اليابانيين البارزين، إذ عُدّ من أقطاب نجاح التجربة اليابانية الاصلاحية خلال عهد ميجي، لدوره الكبير في تنوير وتثقيف المجتمع الياباني وطبقته الحاكمة.

قسم البحث الى ثلاثة محاور، إذ ركّز الأول على ولادته ونشأته)1835–1860)، في حين سلّط الثاني الضوء على رحلاته الخارجية وأثرها في بلورة شخصيته الفكرية والثقافية)1860–1868)، وجاء المحور الأخير ليستعرض أبرز أفكاره وآرائه الثقافية التنويرية في المجالات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية)1886–1901).

الكلمات المفتاحية: اليابان – فوكوزاوا– ميجي– الغرب – الثقافة

المقدمة

ظهرت العديد من الدراسات التي بُحثت في أهمية تجارب الشعوب الحية، ولاسيما التجربة اليابانية منها، بكونها معيناً لا ينضب من الدروس التي من الممكن الافادة منها في بناء دولة عصرية متقدمة، قائمة على أسس اجتماعية واقتصادية وسياسية صحيحة، وبناءً على ذلك جاءت دراسة شخصية) فوكوزاوا يوكيتشي 1835–1901) كونه يُمثل أحد المفكرين اليابانيين البارزين، اذ عُد من أقطاب نجاح التجربة اليابانية في الاصلاح خلال عهد ميجي، ورغم الظروف الاجتماعية التقليدية الصارمة التي واجهها طيلة مدة حياته، الا انهُ استطاع تحديها، لتكون الدافع الاكبر له في بلورة شخصيته الفكرية والثقافية، التي ساهمت بدور كبير في تثقيف وتنوير المجتمع الياباني وطبقته الحاكمة بالافكار الحديثة في مختلف المجالات حتى وفاته.

استندت الفرضية التي يطرحها هذا البحث على أهمية تقديم المزيد من الدراسات المُعمقة لتجربة نهضة اليابان، وتسليط الضوء على تلك الشخصيات المؤثرة في نجاح تلك النهضة، والاحاطة بظروفها وتجاربها الاصلاحية، ليطلع عليها الجيل العربي بشكل عام والعراقي بشكل خاص، وبما يمكنه من إستلهام روح تلك التجربة واستنباط دروسها والافادة منها.

تضمن البحث ثلاث محاور، اذ ركز الاول على ولادة فوكوزاوا ونشأته)1835–1860)، في حين سلط الثاني الضوء على رحلاته الخارجية واثرها في بلورة شخصيته الفكرية والثقافية(1860–1868)، وجاء المحور الاخير ليستعرض ابرز افكاره وآرائه في المجالات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية(1886–1901).

أولا: ولادة فوكوزاوا ونشأته الاجتماعية(1835–1860)

ولد(فوكوزاوا يوكيتشي Fukuzawa Yukichi) في العاشر من كانون الثاني 1835 بمدينة(أوساكا Osaka– غرب اليابان[130]) من عائلة(ساموراي Samuria– الجندي المحارب)[131] متدنية الرتبة، تنتمي إلى عشيرة(أوكِوديرا Okudira) حكام أقطاعية(ناكاتسو Nakatsu) بجزيرة(كيوشو)Kyushu[132]، وكان والده مسؤولاً عن الشؤون المالية للعشيرة الإقطاعية، ويتولّى تسويق محصول الأرز، ويتفاوض مع التجار في(أوساكا– مركز اليابان التجاري آنذاك) للحصول على القروض التي يحتاجها سيده، وعد والده العمل في خدمة سيده واجباً اجتماعياً بحكم التقاليد ومنظومة الثقافة(الكونفوشيوسية Confucianism)[133] الصينية[134].

ولم يقدر لفوكوزاوا أنْ يعيش مع تجربة والده المهنية، إذ مات أبيه عندما كان طفلاً في منتصف العام الثاني من عمره، وواجهت الأسرة حياة اقتصادية صعبة ، إذ لم تكن كمية الأرز التي تتلقاها الأسرة من سيدهم الاقطاعي تكفي لسد حاجتها، الأمر الذي اضطرّها إلى البحث عن أعمال أخرى لمواجهة ضرورات الحياة ومصاعبها، وقد بذلت والدته جهداً تشجيعياً كبيراً عندما كان طفلاً، على أنْ يعد نفسه حتى يصبح كاهناً بوذياً لينجو بنفسه من طبقة صغار الساموراي، إلّا أنّ تحديد الموقع الاجتماعي في ظل النظام الإقطاعي يتم تبعاً لوضع الأب، إذ كان صغارهم ملزمين بالانحناء، فيما يقرب من وضع السجود في حضرة سادتهم من كبارهم، كما أنه ليس من حقهم أن يحلموا بتخطي وضعهم الاجتماعي الموروث وفقاً للتقاليد الاجتماعية السائدة آنذاك[135].

وبناءً على ذلك مقت فوكوزاوا النظام الإقطاعي منذ طفولته، وعده مسؤولاً عن وفاة والده، وأستاء بوجه خاص من العرف المرتبي الصارم للساموراي، الذي أجبره على التعامل مع أطفال الساموراي الآخرين لجيله من عوائل المرتبة الأعلى، بصرف النظر عن اختلاف مقومات الحياة الاجتماعية بين المرتبتين، الأمر الذي جعلهُ عازماً على التحرر من قيود التقليد الأقطاعي ليكون

---

(130) وهي تسمية صينية الأصل تتألف باللغة اليابانية من رمزين هما(ني 旦) ومعناه الشمس، و(هون 本) ومعناهُ المنبع أو الأصل، وبذلك تعني أصل الشمس أو بلاد الشمس المشرقة. في حين اشارت مصادر أخرى إلى أنّ اليابانيين هم الذين أطلقوا التسمية لاعتقادهم بأنّ الأسرة الإمبراطورية تنحدر من سلالة الشمس.). وللاطلاع عن موقع اليابان الجغرافي ومناخها ومساحتها، ينظر: وسام هادي عكار عظيم، تطور سياسة اليابان الإقتصادية 1952-1973(دراسة تأريخية)، أطروحة دكتوراه (غير منشورة)، كُلية التربية ابن رشد للعلوم الإنسانية، جامعة بغداد، 2014، ص11-12.

(131) وهم طبقة المحاربين القدماء في اليابان، برزت في إثر زيادة حاجة الإقطاعيين لحماية ممتلكاتهم، إذ اضطروا الإعتماد عليهم ليصبحوا بمرور الزمن الحكام الفعليين للأقاليم، وامتازت تلك الطبقة بأهتماماتها الثقافية وتأثيرها في المجتمع الياباني. Herschel Webb, An Introduction to Japan, 3rd. ed., (New York, Colombia University, Press, 1960), p. 11; طه الهاشمي، نهضة اليابان وتأثير روح الأمة في النهضة، (بغداد ، مطبعة دار السلام ، 1925)، ص166-169.

(132) Milton W. Meyer,Japan: A Concise History,(London, Rowman & Little Field Publishers,Inc,2000),p.131.

(133) تسمية أطلقتْ نسبة إلى الفيلسوف الصيني (كونفوشيوس Confucins551-497 ق.م)، وهي مجموعة من المعتقدات والمبادئ الفلسفية المادية، التي تعمل على وفق نظرية القوانين الخمسة المنظمة لعلاقة (الابن بـأبويه، التابع بمتبوعه، الزوجة بزوجها، الأخ بأخيه، الصديق بصديقه). وأضافتْ لها اليابان علاقة (الجسد بالروح)، وتُعّد قواعد إصلاحية في جميع الميادين السياسية والإجتماعية والإقتصادية للمجتمع الصيني، ويكمُن نجاحها في إستنادها على النظام الأخلاقي، وأكدتْ الكونفوشيوسية بالعودة إلى الفضيلة والأخلاق والتعلم والإبتعاد عن مناقشة المسائل الغيبية والإهتمام بالمسائل الدنيوية، وأضفتْ الروايات الصينية القديمة هالة من التقديس على شخصية كونفوشيوس حتى كادتْ تنسب إليه جميع ما أنتجه الفكر الصيني. Edward Seidensticker, This Country Japan, (Tokyo, Kodansha International, Ltd., 1980), pp.24- 30; فؤاد محمد شبل، حكمة الصين: دراسة تحليلية لمعالم الفكر الصيني منذ أقدم العصور، ج1، (القاهرة، دائرة المعارف، 1967)، ص63-93. للإطلاع على أثر الكونفوشيوسية في المجتمع الصيني. يُنظر: مثنى عبد الجبار عبود، محاولات الإصلاح والتحديث في الصين (1860-1911)، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية التربية-إبن رشد، جامعة بغداد، 2010، ص9-12.

(134) Benjamin Duke, The History of Modern Japanese Education: Constructing the National School System 1872-1890, (New Jersey, Rutgers University Press, 2009),p.61.

(135) K William Samuel Ravenell, Fukuzawa Yukichi: Western Civilization as our Goal, Ph. D. dissertation, A Thesis Presented to the Faculty of the Graduate School of Cornell University, August 2009,p.9.

إنساناً مستقلاً, وأصبح الأستقلال والحرية هاجساً في حياته منذ طفولته المبكرة[136]، وأبدي فوكوزاوا اهتماماً بالتراث الصيني شأنه في ذلك شأن والده، ولكنه لم يبدِ رغبته بسلوك سبيل الخدمة الدينية الـ(بوذية Buddhism)[137]، وفضل الالتحاق بمدرسة محلية، واتقن من خلالها القراءة والكتابة، وتلقّي مبادئ الكونفوشيوسية وبعض النصوص الأدبية الصينية[138].

توافرت في عام 1853 فرصة له لمغادرة ناكاتسو عندما كان في التاسعة عشر من عمره، بعد أنْ قرّر حاكمها ايفاد ابنه الى مدينة)ناگازاكيNagasaki)، وتم اختيار فوكوزاوا مرافقاً له، لغرض تعلم الفنون القتالية النارية هناك، على أثر وصول أسطول العميد البحري الأميركي)ماثيو كالبريث بيري Matthew Calbraith Perry1794–1858)[139] وتهديده لليابان، ما شكل مخاوف حقيقية للساموراي، وجعلهم يفكرون في تعلم القتال بالأسلحة النارية لمواجهة التحديات العسكرية[140]، وحطّ فوكوزاوا رحاله عند المحطة التجارية الهولندية في جزيرة)دجيما Dejima) الإصطناعية الواقعة عند ميناء ناگازاكي والتي تمثل المنفذ التجاري الوحيد لليابان مع العالم الخارجي آنذاك، وهي المكان الوحيد الذي يمكن التعرف من خلاله على كل ما وصل اليها من حضارة الغرب، ونتاجات علومها المختلفة، واستمر تواجد فوكوزاوا عاماً كاملاً هناك، وكان لرحلته بالغ الأثر في تعلمه للابجدية اللغة الهولندية، واكتساب بعض المبادئ النظرية للأسلحة النارية، وأشار فوكوزاوا في سيرته الذاتية أنْ حدث وصول بيري إلى اليابان، هي بداية رحلته الاستكشافية الفكرية والتي استمرت طوال حياته[141]. وخلال تواجد فوكوزاوا في ناگازاكي قرر عام 1854 السفر إلى أوسكا، ليعزز دراساته في اللغة والعلوم الهولندية[142]، وفي عام 1855 التحق بمعهد(تاكيجوكو Takijuku)، وكان يديره طبيب ياباني من ذوي المهتمين المعدودين للعلوم الهولندية، ودرس فيه علوم التشريع والطب والفيزياء والكيمياء، إلى جانب اتقانه اللغة الهولندية فيها، واستمرت دراسته ثلاث سنوات، خلال المدة)1855–1858)[143]. الا ان الدراسات الهولندية آنذاك واجهت صعوبات جمة، فعدد الكتب المتاحة كان قليلاً، كما كان ذلك النوع من المعرفة يلقي معارضة من الساموراي المتطرفين وأصحاب الثقافة الصينية التقليدية، وكان الطلاب وأساتذتهم عرضة للاغتيال من وقت لآخر، ووجد فوكوزاوا نفسه موضع كراهية جميع أهله فيما عدا أمه، وأقبل على الدراسة بحماس كبير[144].

---

(136) Ronald S. Anderson, Japan: Epochs of Modern Education, (Washington, U.S. Department of Health, Education and Walfare, 1959),p.9.

(137) نسبة إلى الفيلسوف الهندي (سيدهارتا غوتاما Siddharta Guatama 563-483 ق.م) المعروف بـ(بوذا Buddha(وتعني (الرجل المستيقظ أو المستنير).

John W. Dower, Embracing Defeat: Japan in the wake of world war II, (New York, W.W. Norton Company, Inc., 1999), pp.19-30; Kodansha Encyclopedia of Japan, Vol.2, pp.176-178.

(138) Duke., Op. Cit., p. 61.

(139) ضابط بحري أميركي، عمل قائداً للبحرية الأميركية للأعوام(1837-1840)، وقاد السفن التجارية نحو أفريقيا، ونجح بقيادة الأسطول العسكري الأميركي خلال حرب المكسيك(1846-1848)، وتميز بإنضباطه الشديد وإرتباط أسمه بتأريخ آسيا لما كان للحملة التي قادها من تأثير كبير في تأريخ اليابان. =

=NewAge Encyclopedia,Vol.14,18th.ed.,(Lexington, Lexington Publications, Inc, 1980), p.200; Pat Barr, The Coming of The Barbarians: A Story of Westren Settement in Japan 1853-1870, (London, Melturne, 1967), p.17.

(140) Baron Dairoku Kikuchi, Japanese Education, (London, Albemarle Street,W., John Murray, 1909), p.42; بلاد اليابان وأسباب إرتقائها، "مجلة المقتطف"، ج2، المجلد 22، (القاهرة، نيسان، 1898)، ص101.

(141) ناجاي متشيو و ميجول أورشيا ، الثورة الأصلاحية في اليابان" ميچي إشن"، ترجمة عادل عوض، (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1992).ص153-154.

(142) Chris Spackman, an Encyclopedia of Japanese History, (South Carolina, Biblio Bazaar, 2004),p.86.

(143) Koizumi Shinzo, Fukuzawa Yukichi, Japan Quarterly, Vol.11-No.4, Tokyo, October – December 1964, p.488; Kodansha Encyclopedia of Japan, Vol.2, pp.367-368; L.M.Cullen, A History of Japan, 1582-1941: Intend and External Worlds,(New York, Cambridge University Press,2003),p.127.

(144) Donald Keen, Emperor of Japan: Meiji and his World, 1852-1912,(New York, Columbia University Press,2000),p.195.

تلقى فوكوزاوا في عام 1858، أمراً من سادته بالتوجه إلى مدينة)إيدوEdo)[145] ، ليتولّى تدريس الهولندية في مقر عشيرت ناكاتسو، بعدما أدرك سادة الإقطاع أهمية التزود بلغة أجنبية لمتابعة التغيرات التي تمر بها البلاد، إذ أدرك فوكوزاوا أنّ معرفة الهولندية وحدها ليست السبيل الأمثل للتزود بالثقافة الحديثة، فقد زار ميناء)يوكوهاما Yokohama) بعد وصوله إلى إيدو بوقت قصير ليلقي نظرة على المستوطنة التي سكنها الأجانب هناك، بعد أنْ أفسحت المعاهدات[146] التي عقدتها اليابان مع الغرب واوربا بتواجد الاجانب على عدد من موانئها، واكتشف فوكوزاوا أنّ معرفته بالهولندية التي اكتسبها خلال تلك السنوات لا نفع منها؛ لأنّه عجز عن التفاهم بها مع التجار الأجانب هناك، ويشير إلى ذلك في مذكراته بهذا الصدد قائلاً:

"**ما يكدرني.. أني عندما حاولت التحدث معهم [الاجانب]، لم يبدُ أنْ يفهمني أحداً منهم أطلاقاً، كما أني عجزت تماماً عن فهم ما يقولون، كما عجزت عن قراءة لافتات المعلقة على المحلات. فأحسست بالخيبة والالم ولكن الوقت لا يتسع للتحسر على ما فات، فقد تأكدت أنّ اللغة الإنجليزية هي أهم اللغات في التعامل في المستقبل، وأيقنت أنّ من يستطيع قراءة الإنجليزية والتحدث بها سوف يعد عالماً بشئون الغرب عندئذ، وبعد عودتي من يوكاهاما في اليوم التالي بالتحديد اتخذت هدفاً في الحياة وعزمت على البدء بدراسة اللغة الانكليزية**"[147].

وبناءً على ذلك قرّر فوكوزاوا أنْ يتعلم الإنجليزية، غير أنّه لم يكن هناك معلم للإنجليزية في إيدو، الأمر الذي دفعه إلى تعلمها بمجهود فردي من خلال كتاب صغير في المحادثة الإنجليزية اشتراه من يوكوهاما كما اشترى معه قاموساً إنجليزياً هولندياً غالي الثمن وبتمويل من عشيرته الإقطاعية، وتمكن من اتقانها عام 1859،وفتحت له اللغة الانكليزية إمكانات وآفاق كبيرة للاطلاع على العلوم الغربية والثقافات العالمية[148]. ويبدو من ذلك ان فوكوزاوا تميز في بناء قدراته الثقافية بقراءة الواقع المحيط به بشكل سليم، وبما يتوافق مع متطلبات الادراك المباشر في فهم مدلولات الفكر الغربي، الامر الذي دفعه لاتقان اللغة الهولندية والانكليزية معاً، ومثلتا منافذ ثقافية مهمة للاطلاع على أسرار الغرب وتطور مجالاتها المختلفة.

وعلى نحو عام، شكّلت حياة فوكوزاوا الاجتماعية تحدياً واقعياً في ظل النظام الاقطاعي، الذي وضعه في نظام مرتبي قاسي، لا يسمح للفرد من خلاله بتخطيه، إلّا أنّ مرارة الحياة الاجتماعية أعطت ردود فعل عملية، جسدها بعناية فائقة، وبأسلوب هادئ، لتخطي عقبة الطبقية المقيدة، لينتقل من التعليم الصيني إلى التعليم الغربي، والتي ستبرهن تلك الخطوة لاحقاً، إنّها بداية المحاولة الناجحة، لكشف التناقضات بين)نظرية) العلوم الصينية و(عملية) العلوم الغربية، ومن ثم الثورة على النظام الاقطاعي والدعوة إلى اقتلاعه من جذوره فيما بعد.

ثانياً: رحلات فوكوزاوا الخارجية واثرها في بلورة شخصيته الفكرية 1860-1868

أفرزت نتائج الانفتاح الياباني على الغرب، أثر التهديد الاميركي لها، إلى استجابة اليابان لشروط المعاهدات التي عقدتها مع الغرب، وبناءً على ذلك ارسلت حكومة توكوگاوا بعثتها الدبلوماسية الأولى الى الولايات المتحدة الامريكية، من أجل التصديق على المعاهدة المبرمة بين الطرفين لعام 1859، وصمّم فوكوزاوا أنّ يسافر في تلك الرحلة، وحصل موافقة رسمية بمرافقة البعثة، وبعد رحلة شاقة عبر البحر استغرقت سبعة وثلاثين يوماً وصلت السفينة إلى (سان فرانسيسكو)San Francisco في آذار

(145) تعني مدخل الخليج، وتقع في الجزء الشرقي من جزيرة هونشو، تبلغ مساحتها2141كم2، وقد أُعتمد الاسم منذ عام 1180 حتى استبدل في أيلول 1868 إلى طوكيو أي (العاصمة الشرقية) عندما انتقل أليها الإمبراطور. Kodansha Encyclopedia of Japan, Vol.2,1st.ed.,(Tokyo,Kod111ansha, Ltd., 1983). p.171.

(146) ابرز تلك المعاهدات التي عقدتها اليابان وهي (كاناجاواKanagawa)، مع الولايات المتحدة الاميركية، ومعاهدات(أنسي كانين Ansei Gannen) او(المعاهدات غير المتكافئة Unequal Treaties) مع كل من هولّندا، روسيا، المملكة المُتحدة، وفرنسا، وجاءت المعاهدات الاخيرة لتضع حداً لانفراد الولايات المتحدة الاميركية في اليابان، واهم ما نصت عليه تلك المعاهدات على فتح عدد من الموانئ امام السفن الاميركية والاوربية والسماح للتجار الغربيين في التعامل بمطلق الحرية مع التجار اليابانيين، دون قيود او رقابة او حتى تحديد لحجم السلع المتداولة تجارياً بين الطرفين، وذلك وفقاً لمبدأ التجارة الحرة. للمزيد عن ظروف عقد المعاهدات وشروطها. ينظر: أسماعيل، المصدر السابق، ص65-70.

(147) Duke., Op. Cit., pp. 61-62.

(148) Nishikawa Shunraku, fukuzawa Yukichi (1835 – 1901), UNESCO: International Bureau of Education, 2000,p.3.

1860[149]، وأقضوا فيها اثنتين وخمسين يوماً، وأتيحت الرحلة لفوكوزاوا فرصة مهمة لرؤية عجائب العلم ومظاهر الحياة اليومية في المجتمع الغربي، وشكلت المشاهد المادية والاجتماعية التي لاحظها فوكوزاوا ذهولا كبيراً، ولاسيّما: البسط المفروشة على أرضية الفنادق، والتلغراف، وطريقة تكرير السكر، إلى جانب مشاهداته للعادات الغربية، سيّما عندما رأى الرجال)يراقصون النساء من دون حياء)، وبلغ سلوكه حد الشعور بالخجل والحرج، برغم أنه من الساموراي، ويصف حاله عندئذ بقوله: "لم يكن هناك جديد بالنسبة لي فيما يتعلق بالاختراعات والآلات الصناعية، ولكنني أحسست بالحيرة أمام أمور الحياة اليومية والعادات الاجتماعية وطرائق التفكير".

وبعد ستة أشهر من رحلته التي قضاها فوكوزاوا في اميركا، عاد إلى اليابان ومعه نسخة من)قاموس وبستر Webster Dictionary) الذي اشتراه من هناك، ويمثّل أول قاموس انكليزي يصل إلى اليابان، وسط شعور ياباني مناهض للأجانب، فقد تم اغتيال رئيس ديوان الـ(شوگون)Shogun[150]، المعروف بميله للغرب، وأصبح الشعار السائد هو: "إطردوا الأجانب"، إلاّ أنّ ذلك لم يمنع فوكوزاوا من الاستمرار في تدريس اللغة الهولندية في مقر العشيرة بإيدو مع متابعة دراسته لتطوير للغة الإنجليزية، وبعد عودته بقليل نشر أول قاموس)ياباني – إنجليزي)، بعنوان)كايه تسوغو Kaye Tsogo) مترجم من قاموس صيني إنكليزي والذي عُد الفاتحة لكتب متعددة بعدها، وعينته الحكومة عام 1861 مترجماً لرسائل القناصل الأجنبية بمكتب الشؤون الخارجية التابع لها، وأتاحت له تلك الوظيفة فرصة جيدة لتطوير لغته الإنجليزية نظرياً وعملياً، من خلال الترجمة والحوار مع الاجانب[151].

جاءت زيارة فوكوزاوا الثانية لأوربا، ليكون مرافقاً للوفد الياباني بوصفه مترجماً له، وذلك للتفاوض حول بعض القضايا المتعلقة ببنود المعاهدات التي عقدتها اليابان مع الدول الاوربية مؤخرا، وانطلقت الرحلة في الثاني والعشرين من كانون الثاني 1862، على متن سفينه بريطانية ووضعت البعثة جدولة زمنية محددة لزيارة الدول، إذ حددت ثلاثة وأربعون يوما لزيارة بريطانيا، وثلاثة وأربعون يوماً لهولندا، وتسعة وأربعون يوماً لفرنسا، وثمانية عشر يوماً لبروسيا، وتسعة وثلاثون يوماً لروسيا، وتسعة أيام لزيارة البرتغال، وكتب فوكوزاوا ملاحظات غزيرة عن جميع البلدان التي زارها، وعد الكثير من المؤرخين رحلته الثانية نقطة التحول الكبرى في حياته الفكرية والثقافية[152].

ومن جهته لم يدّخر فوكوزاوا جهداً لتعلم كل ما يستطيع تعلمه من تلك الرحلة، لاسيّما ما اتصل منها بالسياسة والاقتصاد وأمور الحياة اليومية التي لا يهتم الغربيون بالكتابة عنها في كتبهم، ويشير إلى ذلك بقوله :"خلال بعثتي لأوروبا، حاولت أنْ أتعرف على بعض الأشياء الشائعة المعروفة في الثقافة الأجنبية، فلم اهتم بدراسة الأمور العلمية أو الفنية خلال تلك الرحلة لأنني أستطيع قراءتها في الكتب عندما أعود الى بلدي، إلاّ أني شعرت بالحاجة إلى معرفة أمور الحياة اليومية الشائعة مباشرة بين الناس؛ لأنّ الأوروبيين لا يذكرونها في كتبهم غير أنّها بالنسبة لي أمور تستعصي على الفهم، ولذلك عندما ألتقي شخصاً ذا حيثية أطرح عليه أسئلة وأدون إجاباته في مذكراتي، وعندما عدت من الرحلة بنيت أفكاري على هذه المذكرات وعلى البحث في الكتب التي قمت بشرائها وأعددت كتابي الذي حمل عنوان(سييو جيجو Seiyo Jijo– أشياء غربية أو أحوال أمم الغرب"[153].

---

(149) W.G. Beasley,The Meiji Restoration, California, Stanford University Press, 1972),p.311.

(150) أصبح الشوگون في عهد توكوگاوا هو الحاكم الفعلي للبلاد، على الرغم من أنّ الإمبراطور هو الذي منحه هذا اللقب من الناحية النظرية ، وقد إتخذ الشوگون من إيدو مقراً لحكمه ، وإمـتلك مساحات واسعة من الأراضي المنتجة لـ(31%) من محصول الأراضي في البلاد، وبسط سيطرته المباشرة على المدن الكبري والموانئ المهمة والطرقات والمعابر الرئيسة. ومن تلك الممتلكات، إستمد الشوگون قوته وعمل من أجل إستمرار حكم توكوگاوا لليابان. ينظر: دعد بومهلب عطا الله، اليابان من الشروق إلى السطوع، (بيروت، مكتبة لبنان، 1994)، ص47؛
George M.Beckmann,The Modernization of China and Japan,(New York,1962),p. 94

(151) Duke., Op. Cit., p. 63.

(152) Ibid.

(153) Ian Nish, The Iwakura Mission in America and Europe A: New Assessment, (Taylor & Francis e-Library, 2005),p.1.

رافقت عودة فوكوزاوا إلى اليابان حركة عداء للأجانب قد بلغت ذروتها، ونفذ الساموراي المستاؤون من الثقافة الغربية اعمالاً عدائية عشوائية بحق المهتمين بعلومها ولغاتها، إلى جانب قيامهم بقصف السفن الاجنبية المارة بالقرب من الموانئ اليابانية، الأمر الذي اشعر فوكوزاوا بالحذر ووجد حياته مهددة بالخطر، بعد انتشار ظاهرة العصابات المنظمة من(الرونين Ronin – وهم الساموراي المحرومون من أسيادهم ولا يتبعون سيداً ما) تتولّى اغتيال كل ما عرف عنه الميل للغرب أو ثقافته، وظنوا أن من يتولّى تدريس علوم الغرب أو لغاته أنه يضلل الناس ويمهد الطريق أمام الغرب للسيطرة على البلاد[154]، وأشار فوكوزاوا بهذا الصدد: " جميع الطلبة ومترجمي اللغات الغربية عرضوا أرواحهم للخطر باستمرار.. لثلاثة عشر أو اربعة عشر عاماً لم أغامر مرة واحدة للخروج ليلاً"[155].

وعلى الرغم من المحيط المعادي للتوجهات الغربية، تيقّن فوكوزاوا بعد عودته من رحلته الثانية إلى الغرب: إنّ "التعليم أساس تفوق الغربيين"[156], مؤكّداً "إنّ الغرب على النقيض مع اليابان، فقد تطوّر تدريجياً وطبيعياً مع المرحلة التأريخية للحضارة, **وأنّ** المبدئي لليابان كي تلحق بالحضارة هو التعلم من الغرب الهدف "[157].الأمر الذي دفعه إلى تأسيس مدرسة خاصة عام1863، لتعليم المعارف الغربية الحديثة، عُرفت بمدرسة)كيو شيجوكو Keio Shijuku)، وتغير اسمها فيما بعد إلى مدرسة)جيجوكو Gijuku)، وعلمتْ الكثير من شباب طبقة الساموراي وطُلاب من مناطق اليابان كافة. ونظراً للسمعة العلمية المرموقة للمدرسة استقطبت أعداداً كبيرةً شملت كل فئات المجتمع، على الرغم من بعدها عن المقاطعات اليابانية والرسوم التي فرضتها للتعليم[158]، وتم افتتاح فروع للمدرسة في كيوتو وأوسكا و(توكوشيماTokushima) وأماكن أخرى، وقدمت تدريساً نظرياً وتدريباً مهنياً في مجالات القانون والطب والتجارة والزراعة[159]، وعدت المدرسة المؤسسة التعليمية الأولى والوحيدة التي أدخلت الاقتصاد الغربي في مناهجها قبل عهد ميجي[160]. ويبدو ان توجه فوكوزاوا لتأسيس مدرسته الخاصة، ينطلق من أعداد نخبة يابانية مثقفة متسلحة بالعلوم الغربية، لتكون بدورها حلقة وصل مهمة بين القيادة والقاعدة في توعية وتثقيف المجتمع الياباني بالأفكار الغربية الحديثة لمواكبة الحياة العصرية العالمية، الى جانب ولوج الكثير من خريجيها في المؤسسات اليابانية الحديثة.

وعلى الرغم من مواجهة المدرسة لجملة من المعوّقات، ولاسيّما الأزمات المالية المتكررة، التي عرقلتْ توفير الإحتياجات المادية والعينية للمدرسة، بما في ذلك توفير رواتب المعلمين وبناء المباني وشراء الكتب المنهجية وغيرها، إلا أنَّ الأهداف العلمية السابقة التي سعى فوكوزاوا إلى تحقيقها، دفعتْه إلى التأكيد بالقول: " ليست مهمتي مجرد تجميع الشباب وتبصيرهم بفوائد الكتب والأفكار الأجنبية، وإنّما الهدف الحقيقي هو فتح هذه البلاد المُغلقة[اليابان] ونقلها بالكامل إلى ضوء الحضارة الغربية"[161]. وبعد أنْ تجاوزت المدرسة بعض مشاكلها لتخطوا نحو تطورها، أعلن فوكوزاوا عزمهُ على مواصلة الدراسات الغربية ومواكبتها من خلال ترجمة الموضوعات والكتب الأميركية والبريطانية[162].

---

(154) Kellie E. Sharp, Fukuzawa Yukichi: Confucian Entrepreneur of Meiji Japan, Ph. D. dissertation The Robert E. Cook Honors College,Indiana University of Pennsylvania,2005,p30.

(155) نبأ من اليابان، "مجلة المقــتطف"، ج1، المجــلد 29،(القاهرة، آب،1904)، ص712 .

(156) Duke., Op. Cit., p.22.

(157) علاء على زين العابدين، دراسات في الفكر والثقافة اليابانية (القاهرة, دار العلوم ، 2006), ص18.

(158) Reishchauer, Edwin O., Japan: The Story of a Nation, (New York, Alfred A: Knopf, Inc.,1974),p.107.

(159) Randal Shon Batchelor, Borrowing Modernity: A Comparishion of Educational Change in Japan, China, and Thiland from the Early Seventeenth to the Mid-Twentieth Century, Ph. D. dissertation, (Batchelor State university, 2005.p.47.

(160) Tessa Morris-Suzuki, A History of Japanese Economic Thought,(London, Routledge, 1989),p.41.

(161) Duke., Op. Cit., p. 22.

(162) Ibid.,p.63.

لم يثنِ بروز التيار المناوئ للغرب داخل اليابان، إذ تصدي فوكوزاوا لكتابة وتدوين ملاحظاته ومشاهداته في الغرب وجمعها في مجلد بعنوان)سيو جيجو Seiyo Jijo– أشياء غربية أو أحوال أمم الغرب)[163] ، وصدر بعشرة أجزاء، وبلغ عدد نسخ الجزء الأول من الكتاب الذي طبع عام 1866 ، إلى نحو مائة وخمسين ألف نسخة نفدت فور صدورها، وطبع آخرين نسخاً أخرى من دون علمه، إذ بلغت مائة ألف نسخة، وتضمن الكتاب وصفاً لمؤسسات الحياة اليومية في أوروبا كالمستشفيات والمدارس والمعامل والمتاحف ومستشفيات الأمراض العقلية ونظام الضرائب وغيرها من المظاهر الاخرى، وساعد على رواج الكتاب أنّه صيغ بأسلوب مبسط يفهمه أي قارئ ياباني بسهولة ووضوح. وقد دعم الكتاب شهرة فوكوزاوا ككاتب وخبير بشئون الغرب، وفتح باب النجاح أمام مؤلفاته اللاحقة التي عُنيت بتقديم معلومات أولية عن العلوم والأمور المتعلقة بالحياة اليومية في الغرب[164].

سافر فوكوزاوا إلى الولايات المتحدة الأمريكية مرة أخرى، في كانون الثاني 1867، وبصفته مترجماً مرافقاً للوفد الياباني الذي ارسلته حكومة(توكوگاوا Tokugawa)[165] ، لشراء بارجة حربية أميركية، وبنادق لجيش الشوگون، ووصل الوفد الى)نيويورك (New York) في الثاني والعشرين من نيسان، واستمرت الزيارة إلى نحو أربعة اشهر، وبعد ذلك بزمن قصير سافرت البعثة إلى)واشنطن Washington)،إذ التقت بالرئيس الأميركي)آندرو جونسنAndrew Johnson 1808–1875))[166]، وتباحثا بضرورة تطوير العلاقات العامة بين البلدين، لاسيّما الثقافية منها[167].

ويبدو أنّ فوكوزاوا لم يعد ينبهر بمظاهر الحياة الغربية كما حدث له من قبل، فركز في مذكراته على موضوع البعثة وعلى مناقشاته لأحوال الوطن السياسية مع أحد زملائه المترجمين، ولكنه حصل هذه المرة على مكافآت مالية عن عمله الرسمي مع الوفد، مكنته من شراء كمية كبيرة من الكتب الاجنبية وذات تخصصات متنوعة، ليستعين بها على تدريس علوم الغرب في مدرسته الخاصة، وأشار فوكوزاوا في مذكراته بهذا الصدد قائلاً: "**إشتريت عدداً من القواميس المختلفة الأنواع، والكتب الدراسية في الجغرافيا والتاريخ والقانون والاقتصاد والرياضيات وكل ما وصلت إليه يدي، وكان معظم النسخ من تلك الكتب تصل إلى اليابان لاول مرة**"، وعزا فوكوزاوا أنّ استعمال تلك الكتب في مدرسته الخاصة، مثل القاعدة الأساس لقبولها الواسع الانتشار في مدارس عديدة من البلاد، وكما أشار عام 1868 بهذا الصدد قائلاً: "**كان أستعمال الكتب المدرسية الأميركية في مدرستي السبب في تبنيها في أنحاء البلاد [**اليابان**] كافة بالنسبة للأعوام العشرة أو أكثر التالية**". وفي الوقت نفسه، أعطت تجربة فوكوزاوا في شراء الكتب الأجنبية المتنوعة، اندفاعاً مؤثراً لبعض مسؤولي حكومة توكوگاوا، الأمر الذي اقنعهم بضرورة استيراد العلوم الغربية، لمعرفة اسرار النهضة الغربية، والاستفادة منها لتطوير وتمكين اليابان للتكافؤ مع الغرب، وبأسلوب هادئ اقنع فوكوزاوا الوفد بضرورة شراء الكتب الأجنبية، واعطي الوفد حرية اختيار الكتب المهمة لمسؤولين أمريكيين من ذوي التخصص في المجال التعليمي، وبلغت زنة

---

(163) Nish., Op. Cit.,p.1.

(164) J. Thomas Rimer, Since Meiji: perspectives on the Japanese visual arts, 1868–2000, translations by Toshiko McCallum, (Honolulu, University of Hawai'i Press, 2012).pp.472-473.

(165) حكمت اليابان أكثر من مائتين وخمسين عاما، وسميت بهذا الاسم نسبة لمؤسسها (إياسو توكوگاوا Ieyasu Tokugawa 1543-1616)، وعندما آلت السلطة إلى أسرة(توكوگاوا) التي دام حكمها للأعوام(1603-1868)، إتخذت من مدينة (إيدوEdo) عاصمة لها، وعرفت مدة حكم هذه الأسرة بعهد إيدو، الذي شهدت فيه اليابان إستقراراً سياسياً وتعززت من خلاله سيطرة الشوگون على المجتمع الياباني. للمزيد عن عهد حكومة توكوگاوا ،ينظر: طارق جاسم حسين، جذور التحديث في اليابان في أواخر عهد أسرة توكوگاوا (1853-1868)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، 2010، ص109.

(166) هو الرئيس السابع عشر للولايات المتحدة الأميركية خلال المدة (15 نيسان 1865- 4 آذار1869)، خدم جونسون كعضو في مجلس الشيوخ الامريكي عن ولاية (تينيسي Tennessee) مرتين المرة الأولي خلال المدة (1857-1862) و الثانية كانت ما بين 4 أذار- 31 تموز1875، كما كان الحاكم العسكري على ولاية تينيسي ابان الحرب الاهلية الأمريكية 1862-1865، وشغل منصب نائب الرئيس الأمريكي ما بين 4 آذار-15نيسان= = من سنة 1865،حيث تولي بعدها جونسون منصب رئاسة الولايات المتحدة أثر اغتيال الرئيس (ابراهام لنكولن Abraham Lincoln). للمزيد، ينظر:
Sonia Benson and Other, U•X•L Encyclopedia of U.S. History,(the United States of America, Gale, Cengage Learning, 2009),pp.831-836.

(167) Duke., Op. Cit., p.64.

الكتب التي تم شراؤها من الولايات المتحدة الامريكية إلى نحو عشرة أطنان توزعتْ بين 13000 نسخة من القراءات الإبتدائية والنحو والرياضيات، و2500نسخة من)قاموس ويبستر Webster Dictionary)، و600 كتاب تأريخ[168].

وعلى نحو عام ، ساهمت رحلات فوكوزاوا الخارجية في ترسيخ ثقته العلمية والثقافية بالغرب، ولاسّيما بعد مشاهداته الميدانية للمؤسسات الغربية المختلفة، الأمر الذي شكل لديه قناعة نظرية وتطبيقية في مفهوم رجاحة الفكر الغربي على نظيره الصيني، وعمل بجهود كبيرة في ادخال العلوم الغربية الى اليابان الى جانب تدوين مشاهداته ووضعها بين أيدي الجمهور الياباني.

ثالثا: أراء وافكار فوكوزاوا في المجالات العامة)1868- 1901)

أ-جال الاجتماعي والاقتصادي

تسلّم الإمبراطور(موتسوهيتو Mutsuhito 1868-1912)[169]، الذي عُرف عهدهُ بـ(ميجيMeiji - الحُكم المستنير)، الحُكم في إطار حركة عامة أحدثتْ تغييراً في نظامه، إذ تخلصتْ فيه اليابان من نظام التوكوگاوا[170]، بعد حالة الإنهيار السياسي والإقتصادي التي عاشها الأخير، ولاسيّما بعد توقيعه المعاهدات المُذلة مع الغرب في ظل معارضة النبلاء والساموراي لفتح البلاد أمام الأجانب[171].

جسّد الإمبراطور ميجي مبادئه بعد تسلّمه الحكم في منشور خاطب فيه شعبه قائلاً: "أيتها الأمة الحية الراقية أنّك تفخرين بي، وأنا كذلك أفخر بك على سائر الأمم الراقية وأني لا أدخر وسعاً من كل عمل يرقيك مادياً وأدبياً، لأني وظفتُ كُل قواي في هذا السبيل". وأبدي الإمبراطور رغبة كبيرة في الإصلاح والسعي من أجل الإرتقاء بالأمة اليابانية[172]، وبناءً على ذلك، أُعلنتْ مبادئ الإصلاح الإمبراطوري الخمسة أو)ميثاق القسم Charter Oath) في آذار 1868، الذي أكّد على:

1. يجب أنْ تتّخذ كلّ القرارات، بعد تداول جمعي للدفاع عن المصلحة اليابان العُليا.
2. من حيث المبدأ، لا فرق بين أعلى وأدني في اليابان، بل الجميع واحد مع الحفاظ على التراتبية الاجتماعية السائدة.
3. يجب الابتعاد عن العادات الشكلية القديمة، والعمل على أنْ تظهر مساواة مجتمعية عامة.
4. من الضروري أنْ تتوحّد السُلطتان المدنية والعسكرية لحماية حقوق الطبقات الإجتماعية كافة، والمصلحة القومية العليا معاً.
5-السعي لاكتساب التعليم العصري والثقافة في أي مكان بالعالم والاستفادة منها في بناء الركائز الامبراطورية[173].

في ضوء ما تقدم يظهر أنّ اليابان اعتمدتْ على الحوار المشترك في اتخاذ القرارات، وركّزتْ على قاعدة المساواة داخل المجتمع، وحجّمتْ إلى حّد ما دور التقاليد بوصفها كابحاً للإبداع والتجديد. على أن محور كل ذلك هو السعي لإقامة مجتمع المعرفة الذي يحترم قيم العلم والتعلم القائم على نظام تعليمي[174] متطور، وفرض مبدأ حماية اليابان من المخاطر الأجنبية، في

) Duke., Op. Cit., p.64.168(

(169) ولد في 3 تشرين الثاني1852، وهو إبن الامبراطور كوميه، وبلغ تسلسله (مائة واثنان وعشرون) في سلسلة أباطرة اليابان، أصبح ولياً للعهد في10تموز1860، وتولي الحكم في 13 كانون الثاني 1867، إستثمر موتسوهيتو إستقالة الشوگون الخامس عشر والأخير في أسرة توكوگاوا (يوشينوبو Yoshinobu1866-1867)، الملقب بـ(كيكي Keiki)، فقام بإنقلاب بالقصر الامبراطوري في 3 كانون الثاني1868، أدى إلى إلغاء حكم الشوگونات، وتسلم السلطة الفعلية في 31 تشرين الأول 1868. وأخذتْ اليابان على عاتقها تحت حكمه، حققتْ اليابان في غضون سنوات محدودة، ما إقتضى تحقيقه خلال مئات السنين في الغرب، ألا وهو بناء أمة عصرية في مختلف المجالات السياسية والإقتصادية والإجتماعية.
Kodansha Encyclopedia of Japan, Vol.5, pp. 153-163.
للتفاصيل عن أوضاع اليابان خلال عهد ميجي. يُنظر: إسماعيل، المصدر السابق، ص134-225.

(170) للتفاصيل عن سقوط نظام توكوگاوا. يُنظر: المصدر نفسه، ص71-82.

(171) يوشيدا ميتسوكوني, الإعادة وتأريخ التكنلوجيا، بحث في: نهضة اليابان ثورة المايجي إيشين، دراسات وأبحاث في التجربة الإنمائية اليابانية. الجذور التأريخية والأيديولوجية والحضارية لهذه النهضة, ترجمة نديم عبده وفواز خوري, ط1, (بيروت, شركة المطبوعات للتوزيع والنشر, 1993)، ص6.

(172) سحر عباس عبد الحسن النجار، الأوضاع السياسية الداخلية في اليابان 1926-1939، رسالة ماجستير(غير منشورة)، كُلية التربية، جامعة البصرة، 2010، ص32؛ العلم قوام اليابان، "مجلة المقتطف" ، ج1، المجلد 30، (القاهرة، كانون الثـــاني، 1905)، ص84.

(173) David H.James,The Rise and full Japanese Empire,(London,Allen & Unwin, 1952), p.

(174) للاطلاع على النظام التعليمي الياباني خلال عهد ميجي، ينظر: مثني عبد الجبار عبود، التعليم في اليابان 1868 – 1912، اطروحة دكتوراه (غير منشورة)، كُلية التربية ابن رشد للعلوم الانسانية، جامعة بغداد، 2016، ص 99- 382.

الوقت الذي يؤمن بالإنفتاح المدروس على مختلف مستجدات العلوم العصرية المتقدمة والتكنولوجيا الغربية. وعلى هذا الأساس رفع شعار العهد الجديد)فوكوكيو كيوهيئي Fukoku Kyōhei)، وتعني حرفياً)شعب غني، وجيش قوي Enrich the Country and Strengthen the Military)[175]. وانسجاماً مع سياسة الإصلاح أصدر الإمبراطور عدداً من المراسيم الهادفة إلى إلغاء النظام الشوگوني، وإنهاء الإقطاع في البلاد، وشهدتْ البلاد العديد من الإصلاحات في مختلف جوانب الحياة العامة[176].

برز فوكوزاوا بوصفه المفكر الأبرز خلال المرحلة المبكرة من حكم ميجي، واتخذ قراراً مهماً وغريباً نوعاً ما في بداية سيرة عمله، وهو رفضه قبول اي منصب رسمي في الحكومة الجديدة، على الرغم من مناشدات الامبراطور وقادة الحكومة الجديدة له، مستندا بذلك إلى قناعته الداعية للمحافظة على استقلاليته وحريته الفكرية، إلاّ أنّ فوكوزاوا أدى دوراً مهماً ومحورياً في رسم سياسات حكومة ميجي الجديدة طيلة مدة حياته، من خلال تقديم المقترحات والافكار المتنوعة في مختلف المجالات إلى المسؤولين في الحكومة، واصبح مكان عمله المستقل في مدرسة)كيو Keio) مزارا لوفود المسؤولين الحكوميين طلباً للاستشارة في أدارة الحكم وبرامج الاصلاح[177].

أسهمت نتاجات فوكوزاوا الثقافية في اثراء الفكر الياباني لعقود من الزمن بعد أنْ لقيت اقبالاً رسمياً وجماهيرياً واسعاً في مختلف اوساط المجتمع، والتي حققت أعلى نسب مبيعات في ذلك الوقت، ونذكر منها:)ترجمة لقاموس صيني – انجليزي) ،)احوال الغرب)، والذي وصل عدد مبيعات المجلد الاول منه إلى)150 الف نسخة)،)الدفاع عن التعليم) الذي وصل إلى نحو)220 الف نسخة)، وأعمال أخرى منها:)الثورة في أحوال الناس)،(رحلة بحرية إلى الغرب)،)خلاصة نظرية الحضارة)،)دليل الرجل العادي إلى الحقوق المدنية)،(دليل الرجل العادي إلى الحقوق الوطنية)،)في العائلة الامبراطورية)،)في تبجيل الامبراطور) وغيرها من المؤلفات، ويمكن القول اجمالاً ان المرحلة الوسطى من حكم ميجي قد شهدت بيع)3.5 مليون نسخة) من مؤلفاته، وارتفع هذا الرقم فيما بعد إلى قرابة)7.5 مليون نسخة)، أما عن القيم التي مجدتها مؤلفاته فهي: الحرية، الاستقلال ، احترام النفس، العقلانية ، الروح العلمية ، الواقعية ، حقوق المرأة)[178].

وامتدت أفكار فوكوزاوا من خلال مؤلفاته إلى جمعيات)Gono – طبقة المزارعين الأثرياء)، وأصبحت مادة ثقافية عالمية مهمة لتوعية اعضاؤها، ومن أشهرها كتاب)مدخل العالم) الذي صدر عام 1869، وكتاب)تشجيع المعرفة) الذي صدر عام 1872، إلى جانب نشر الترجمات الخاصة بمؤلفات عالم الإجتماع البريطاني)هربرت سبنسر Herbert Spencer 1820–1903)، و(جان جاك روسو Jean– Jacques Rousseau 1712– 1718)، والروسي)ليوتولستويLeotolstoy 1828–1910) وغيرهم، ممن ساعدتْ أفكارهم على زيادة الوعي لدى اليابانيين بأحوال العالم المحيط بهم، وتحولت تلك الجمعيات إلى مراكز ثقافية لمطالبة الحكومة بمنح حقوق الشعب، الأمر الذي أدّى إلى ازدهار طبقة المزارعين الأثرياء، وتعهدها برعاية الثقافة الشعبية وتطورها[179].

استكمالاً لمشروع فوكوزاوا في تنوير اليابان حكومةً وشعباً أسهم في تأسيس جمعية)ميروكوشا Meirokusha – رجال العام السادس من ميجي) في شباط 1873، فقد أكدتْ أهدافها على تطوير مستوى التعليم أولاً، وتبادل الرأي بين أعضائها، ونشر

---

(175) عباس عبد الحسن النجار، الأوضاع السياسية الداخلية في اليابان 1926-1939، رسالة ماجستير(غير منشورة)، كُلية التربية، جامعة البصرة، 2010، ص32؛ سلمان بونعمان ، التجربة اليابانية: دراسة في أسس النموذج النهضوي، ط1، (بيروت، دار وجوه للنشر والتوزيع، 2012)، ص91-92.

(176) أحمد أمير إسماعيل، الحركة الإصلاحية في اليابان(1868-1912)، رسالة ماجستير غير منشورة، كُلية التربية- ابن رشد، جامعة بغداد، 2006، ص106.

(177) W. G. Beasley,The Meiji Reestoration, (California,Stanford University Press,1972),p.311.

(178) Koizumi Shinzo,Op.,Cit.,pp.489- 492

(179) ناجاي متشيو و ميجول أورشيا ،المصدر السابق،ص153-154.

المعرفة، والقضاء على الجهل حتى تتمكن اليابان من بلوغ الدول المتقدمة ثانياً[180]، وكتب فوكوزاوا في مجلة)ميروكو Meiroku) الخاصة بالجمعية، مقالات عدة في اصلاح التعليم والمرأة اليابانية والمقارنة بين الأنظمة الحكومية وتجارب الحكم النيابي والإقتصاد في العالم، على أنّ نهج المجلة تبنّى خط الحرية والاستقلالية الذي فتح أبواب النقد الشامل للفكر الإقطاعي، والنظام الطبقي السائد آنذاك[181].

حُضي المجال الاجتماعي بأفكار فوكوزاوا ولاسيّما المتعلق منها بالعلاقات الأسرية، منطلقاً من مشروع بناء وتقوية الأمة اليابانية وضمان استقلالها لمواجهة التحديات المستحدثة، مع الحفاظ على ثوابت المجتمع الاخلاقية، فكانت نقطة انطلاق أفكاره الخاصة بالنظام الجديد للأسرة والمتمثل بالعلاقة بين الزوجين، التي قادته إلى إثارة قضية وضع المرأة بقدر كبير من الاهتمام والتفصيل[182]، وقد اتخذ تحليله للوضع الراهن للمرأة خلال عصر ميجي طابع النقد للقيم الثقافية التقليدية المتعلقة بتربية البنات والقيم الكنفوشيوسية التقليدية الخاصة بوضع النساء وآداب السلوك عندهن، وأشار في هذا الصدد: "كان هناك وضعاً موروثاً من المجتمع الإقطاعي يقوم على نظرية سيادة الذكور في المجتمع، إذ إنّ الرجال يرتبطون بالسماء، في حين ترتبط النساء بالأرض، ومن ثم وجب على النساء خدمة الرجال وطاعتهم ومعاملتهم باللطف والرقة، وأنْ يبدين دائماً بمظهر نظيف ومرتب، وأنْ يحسن أداء واجباتهن المنزلية، والمرأة التي تحقق ذلك كله تدعي بالمرأة الفاضلة")[183].

وأكّد فوكوزاوا أنّه لا مبرر للقول بأنّ النساء أقل شأناً من الرجال، وأشار بقوله: "عندما يتفاخر الرجال بقوتهم ويضعون النساء تحت أقدامهم، فإنّ ذلك يسبب الآلام لأولئك المستضعفات، ويحرم الرجال من ذراعهم اليمنى، وبذلك يخسر الرجال كما تخسر الأسرة وتمتد الخسارة إلى الوطن كله، ولا يؤدي ذلك سوى زيادة الاكتئاب بين الناس وإضعافهم وإضعاف أمتهم")[184].

اعتقد فوكوزاوا أنّ تقدّم الأمة اليابانية مادياً وثقافياً لا يمكن أنْ يتحقق إلاّ إذا حدث تغيير جذري في وضع المرأة اليابانية، واشار في هذا الصدد قائلاً: "إنّ فكرتي الخاصة بتقدم الأمة تقوم على النهوض بالحالة الذهنية للمرأة وتشجيعها على إبراز طاقتها البدنية وبذلك نضمن ارتفاع مستوي بلادنا الاجتماعي.. إنّ التعليم الكونفوشيوسي التقليدي المسمى بتربية البنات لم يعد له ما يبرره، لأنّه يفرض الحظر على النساء فهو ليس سوى فلسفة للظلم والاستبداد يؤدي إلى إلحاق الضرر بالحالة الصحية والنفسية للمرأة"، ويضيف إلى ذلك في موضع آخر: "إنّ الغرض الأساس من طروحاتي الجدلية من أجل تأييد المرأة وتأكيد حقوقها لأنني أريد أن تتقدم الأمة اليابانية، وعلى زعماء أمتنا وقادة التقدم الاجتماعي فيها أن يأخذوا دورهم ويعملوا على فك قيود المرأة اليابانية على وجه السرعة"[185]. يبدو من ذلك انْ اهتمام فوكوزاوا بالمرأة اليابانية جاء نتيجة حجم الضغوط الاجتماعية التي فرضتها التقاليد الكونفوشيوسية، محاولا وضع مفهوم جديد لدور المرأة في المجتمع الحديث، والنهوض بها فكرياً ومادياً لتأخذ دورها الطبيعي في بناء الاسرة والمجتمع.

---

(180) زين العابدين، اليابان الحديثة قضايا وآراء 1868-1911: مجلة السادس من ميجي، (القاهرة، المطابع الأميرية، 2006)، ص19.

(181) Tiedemann., Op. Cit., p. 175.

(182) Li Yuk Heung, Women`s Education in Meiji and the Development of Christion Girl`s School, The Degree of Dector, University Hong Kong, 1993.p.73.

(183) رؤوف عباس، التنوير بين مصر واليابان: دراسة مقارنة في فكر رفاعة رافع الطهطاوي وفوكوزاوا يوكيتشي، (القاهرة، ميرت للنشر والمعلومات،2001)، ص75.

(184) Ivan P. Hall, Mori Arinori, (Cambridge, Harvard University Press, 1973), p.252.

(185) رؤوف عباس، التنوير بين مصر واليابان، المصدر السابق، ص77.

أكّد فوكوزاوا على ضرورة وضع الحدود على السلطة الأبوية في المجتمع المتحضر، لرسم قواعد سليمة في التعامل بين الاباء والابناء، وأشار في هذا الصدد: "يجب أنْ يتوقف الآباء عن فرض سلطتهم المطلقة على أبنائهم وبناتهم بمجرد بلوغهم سن الرشد. فمن غير المنطق أن نعامل البالغين معاملة الأطفال على النحو الذي تقول به تقاليد الطاعة العمياء للوالدين. وأنْ لا يتدخل الوالدان خصوصاً في زواج أبنائهم أو يجبروهم على العيش معهم بعد الزواج، على أن يكون لهم مسكن مستقل وحياة خاصة، ولا يفرضوا عليهم قيوداً غير عقلية ومنطقية، فليس على الأبناء أن يطيعوا والديهم فيما لا يتفق مع العقل أو يتجاوز حدود القيم الخلقية"[186]. ويبدو أنّ اهتمام فوكوزاوا بالعلاقات الأسرية الجديدة يدور في إطار اهتمامه الأساس بتكوين مواطن ياباني مستقل الشخصية معتمد على نفسه كمتطلب أساس لبلوغ الحضارة وتحقيق الاستقلال الوطني الشامل الذي تنشده اليابان كأمة حضارية متطورة.

وفي سياق آخر قدم فوكوزاوا نظرته الجديدة إلى التعلم في الفصل الأول من كتابه(تشجيع التعلم Encouragement of Learning)، الذي نشر بسبعة عشر جزء، وأشار في هذا الصدد قائلاً: "إنّ التعلُّم لا يقتصر بالضرورة على طلب ما هو غير عملي كدراسة التراكيب الصينية الغامضة وقراءة النصوص القديمة التي تتسم بالصعوبة أو قراءة وقرض الشعر، بالرغم من منافعها الاّ أنّه يجب عدم المبالغة في قيمتها على نحو ما فعل علماء الكونفوشيوسية والثقافة اليابانية في الزمن القديم. لان ذلك النوع من التعلم يفتقر الى القيمة العلمية ولا يخدم حاجات الحياة اليومية، على أنْ يأتي هذا النوع من التعلم في المكانة الثانوية وأن يكون اهتمام المرء منصباً بالدرجة الأولى على تعلم الأشياء العملية التي هي أقرب إلى حاجات الإنسان العادية"[187].

إلى جانب ذلك دعى فوكوزاوا إلى ضرورة معرفة المجالات العلمية الاخرى، ومنها: الجغرافيا والفيزياء والتاريخ والاقتصاد والفلسفة وغيرها، عن طريق ترجمة الكتب الغربية ومعرفة اللغات الاجنبية، لغرض أن يلم المرء بالأمور العملية ليستطيع البحث عن حقيقة الأشياء ويوظفها في خدمة أهدافه، واشار في هذا الصدد قائلاً: "إن الاختراعات العظيمة للبواخر والقطارات البخارية والمدافع وغيرها من الأسلحة والتلغراف والإضاءة بالغاز، كلها تبدو أشياء عظيمة ولكنها جاءت ثمرة الدراسات والفحص الدقيق لأشياء أساسية طبقها العلماء على الأمور الإنسانية، فلا يجب أنْ نندهش فقط لعظمة ما توصلوا إليه من نتائج ولكننا يجب ألاّ نهمل الأفكار البسيطة التي تُوصِلنا إلى ذلك التطور الكبير". وبناءً على ذلك عمل فوكوزاوا جاهدا ان يترجم افكاره إلى واقع ميداني، الأمر الذي دفعه إلى تجهيز مدرسته الخاصة كيو بالمعارف العلمية المتنوعة، ودرس الطلاب الجدد العلوم الطبيعية بصورة مركزة، إلى جانب تعليمهم مبادئ الفلسفة والقانون والسياسة والاقتصاد. وأدرك فوكوزاوا ضرورة وجود نوع من التوازن المعرفي بين العلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية في برامج الدراسة، ووجد أنّ تعليم العلوم الاجتماعية مهم ليقف الطلاب على الشئون الدولية عندما يبلغون رشدهم فيقول: "**في مدرسة كيو نهتم بتدريس كتب الفلسفة والقانون والعلوم، التي تنفعهم في التمييز بين الصواب والخطأ**"[188].

وانتقد فوكوزاوا الذين يغفلون دراسة العلوم الحديثة بينما يتمتعون بمنجزات الحضارة الحديثة، واشار في هذا الصدد قائلاً: "**أنّ أي معرفة غير قائمة على قوانين محددة، فليس هناك أمل لتحقيق أي تقدم على الإطلاق، لذلك يجب وضع المعرفة في صيغة قوانين محددة يمكن التعامل معها بسهولة، وأنّ فشل اليابان في تحقيق التقدم والوصول إلى درجة الدولة المتحضرة إنّما يرجع إلى غياب الاهتمام بقوانين الطبيعة**"[189]، فقد ركّزت اليابان اهتمامها على نوع من المعرفة بعينه هي المعرفة الخلقية على

---

(186) المصدر نفسه، ص81-82.

(187) Laura Nenzi, The Chaos and Cosmos of Kurosawa Tokiko: one woman's transit from Tokugawa to Meiji Japan,(Honolulu, University of Hawai'i Press, 2015),p.145; Mark E. Lincicome, Principle, praxis, and the politics of educational reform in Meiji Japan, (the United States of America, University of Hawai'i Press, 1995),pp21-22.

(188) رؤوف عباس، التنوير بين مصر واليابان....، المصدر السابق، ص88-89.

(189) David G.Wittner, Technology and The Culture of Progress in Meiji Japan, (New York, Routledge Taylor & Francis Group,2008),pp.8-9.

حساب المعرفة بالعلوم الطبيعية، واعتقدت اليابان أنّ الفضائل الخلقية هي مادة الحضارة، الا ان فوكوزاوا أشار قائلاً: "**ان تقدم الحضارة يتم عبر المعرفة العلمية وليس الإلمام بالفضائل الخلقية، وعلى كل فرد أنْ يبذل الجهد للحصول عليها من خلال تنظيم التفكير الذي ينطلق من تطبيق نظام التعليم الحديث**"[190]، وشجب الكونفوشيوسية بحدة وعدّها "**عقبة في طريق تقدم الانسانية نحو العصر المتحضر**"[191].

وعارض فوكوزاوا الدعوة إلى إحياء الثقافة الصينية التقليدية في المدارس لدعم أخلاقيات الشباب، وعد الكنفوشيوسية مزيج من السياسة والأخلاق إلى الدرجة التي يصعب وصفها بالعقيدة السياسية أو العقيدة الأخلاقية، وأشار بهذا الصدد: "**إنّ الفكرة القائلة بالاستفادة من الجانب الأخلاقي للكنفوشيوسية بتطبيقها تطبيقاً مباشراً مجرد وهم ينم عن الجهل، وأنّ المجتمع الياباني أصبح متغيراً تماماً في بنيته عما كان عليه الحال زمن الحكماء أصحاب الفكر التقليدي ومن ثم ليس هناك ما يدعو إلى القول بأنّ نظريات تلك الأيام الغابرة تصلح للتطبيق في الأزمنة الحديثة**"[192].

دعى فوكوزاوا إلى ضرورة مراجعة التعاليم الكنفوشيوسية التي تتضمن ضبط النفس وحسن إدارة شئون الأسرة والحكومة الوطنية والسلام الدولي إضافة إلى التعاون الدولي وتوسيع نطاق الحقوق الوطنية، ورأى: "**إنّ تقوية الولاء والطاعة والروح الوطنية ليست موضع اعتراض بأي حال من الأحوال، بشرط أنْ لا تقترن بالعادات والتقاليد المقيدة، فعندما نكون أسرة أو ندبر أمر مجتمعنا يجب أن نتبع قواعد سليمة كأفراد ومواطنين، كما أنّ على المرء أنْ يقوم بواجبه نحو بلاده بحكم انتمائه إليها وذلك كله هو مظهر الوطنية الذي أتوقعه من كل مواطن، غير أنّ تلك الروح الجميلة قد تتسبّب في وقوع ضرر شديد عندما يفسر الولاء والطاعة في إطار ضيق على نحو ما نادي به أصحاب المدرسة التقليدية، فيصنف الشخص على أنه يفتقر إلى الولاء إذا لم يتّبع القواعد التقليدية في سلوكه تجاه بلاده فيعد خائناً إذا ما حاد عن الطريق التقليدي، وهذا النوع من المنطق يلحق الضرر الشديد بشعور الولاء والوطنية**"[193].

ورفض فوكوزاوا التأكيد الجماعي على الكونفشيوسية, وآمن بضرورة أنْ يكون واجب التعليم لخدمة الفرد والمجتمع, وأنّ اليابان لم تلحق بركب الغرب إلاّ عن طريق تنوير وتطوير نخبة وطنية من المجتمع في مجالات متنوعة من المهارات، تتّخذ من مبدأ الاستقلالية والانتماء الوطني قاعدة لها، وأشار في هذا الصدد:)أجد في التعليم الشرقي, هو غالباً ما يكون متشبعاً بتعاليم كونفوشيوس, ويفتقر إلى شيئين: الاّول هو الافتقار إلى الدراسات في عدد ومنطق الثقافة المادية, والثاني هو الافتقار إلى فكرة الاستقلال في الثقافة الروحية، إلاّ أنّي شاهدت في الغرب أنّ رجال الدولة ناجحون في إدارة شؤونهم الوطنية, ورجال الأعمال ناجحون في أمورهم, والناس مفعمون بالوطنية ويشعرون بالسعادة داخل عوائلهم، إلاّ أنّني أشعر بالأسف لكوني مضطر إلى الاعتراف بأنّ المجتمع في بلادي ليس مبنياً على هذين المبدأين, على الرغم من أنني أومن بأنّه لا مفر من قوانين العدد والمنطق, وأنّ لا أحد بمقدوره الاعتماد على أي شيء عدا مبدأ الاستقلالية ما دامت الأمم ترغب في الوجود والإنسانية ترغب بالازدهار)[194].

واعتقد فوكوزاوا أنّ فصل التعليم عن السياسة يعود بالنفع على المجتمع، لأنّ التعليم والسياسة يختلفان في طابعهما عن بعضهما البعض وأشار بهذا الصدد: "إنّ السياسة ذات طبيعة نشطة مستمرة في الحركة، بينما التعليم يسير ضمن وتيرة بطيئة، الأمر الذي يجعلهما غير متوافقين وسيكون من الصعوبة بمكان تجنب الضرر الناشئ عن ارتباطهما بصورة غير طبيعية، وأنّ

---

(190) Richard M Reitan, Making a moral society: ethics and the state in Meiji Japan,(the United States of America, University of Hawai'i Press,2010),p.29-30.

(191) Xiao Lang and Tian Zheng, A Comparative Study on the 1898 Reform of China and the Meiji Restoration, Journal of Zhejang University(Science), V.1, No.1,(Jan-Mar 2000), p.109.

(192) Marius Jansen, and Others, Records of Civilization: Sources and Studies, Seventh printing, (New York, Columbia University Press, 1971).p.87.

(193) رؤوف عباس، التنوير بين مصر واليابان...، المصدر السابق، ص91.

(194) Batchelor, Op.Cit.,p.47.

عملية الفصل بين التعليم والسياسة لا يعني أنْ يحجم العلماء عن دراسة السياسة أو تمتنع المدارس عن تدريسها، وأنّما يعني تحرير المعلمون من سلطة الحكومة، والابتعاد عن أي سياسية بعينها، وهو ما يعود بالنفع على المجتمع، فمن الطبيعي أن يوجه معلم المدرسة تلاميذه وفق ما يراه مناسباً وقد تتعارض مدرسة مع مدارس أخرى طالما بقي هذا التعارض في إطار التعليم فإنه لا يضر بالمجتمع، بل أنّ المنافسة بين المدارس تحفز المزيد من الدراسات، ولكن إذا أصبح لمجموعة من المعلمين مصالح سياسية فإنّ رزانة العلماء تتحول إلى عنف وقسوة ممّا يؤدي إلى مشاكل لا نهاية لها"[195].

وعندما يقع التداخل بين التعليم والسياسة فإنّ أي تغّير في أحدهما ينعكس على الآخر، ولتفادي ذلك رأى فوكوزاوا أنْ توضع كل المدارس تحت إشراف الديوان الإمبراطوري، ويسند الديوان إدارة المدارس إلى المواطنين من ذوي الخبرة والكفاءة، ويكلفهم بإعادة تنظيم مدارسهم لتصبح بمثابة مدارس خاصة تدار بصورة تعاونية، وفي الوقت نفسه يجب أنْ تحصل المدارس على معونة مالية من الديوان الإمبراطوري تكفي لاستمرارها في أداء واجباتها، على أنْ يشكّل مجلس يضم العلماء من ذوي السمعة العلمية في البلاد يجتمع بشكل دوري للنظر في أمور التعليم تكون له سلطة الإشراف على أنشطة المدارس وطرائق التدريس وتقرير الكتب وإجراء البحوث وانتاج النظريات الحديثة وتنظيم النشاط الثقافي من دون تدخل من جانب الحكومة، وجملة القول يتولّى المجلس مهمة المجلس الأعلى للثقافة اليابانية دون أن تكون له أي سلطات سياسية، وأنّ وجود وزارة التعليم لا يتعارض مع واجبات مجلس العلماء الذي اقترحه فوكوزاوا، فالديوان الإمبراطوري لا يتولى رعاية التعليم الخاص في اليابان فحسب، بل يشجع ويدعم العلماء في البلاد بمنحهم تكريماً خاصاً ومخصصات مالية سنوية تكفل لهم الحرية لصرف انتباههم عن مشاغل الحياة والتفرغ بالدراسات التي يريدون القيام بها، فبرعاية الديوان الامبراطوري يستطيع العلماء أنْ يؤمنوا حياتهم وتأخذ الدراسات في اليابان بعداً جديداً ترقي فيه إلى مستوى الأمم الغربية بل يستطيع علماء اليابان أنْ ينافسوا علماء العالم[196].

ورأى فوكوزاوا أنّ التعليم يجب أنْ يكون فنّاً عمليّاً موجّهاً لمصلحة المجتمع، ونصح تلاميذه قائلاً: "يجب أنْ يكون المرء مدركاً للمدرسة الكبرى التي يقال لها المجتمع والتي تقع خارج فصول الدراسة، وأنْ يواصل تدريبه في تلك المدرسة الاجتماعية الكبرى، ومن هذا المنطلق يختلف التعليم المتحضر في الغرب عن التعليم التقليدي في الصين واليابان، وفيه تكمن قيمة التعليم المتحضر، وإذا كان التلميذ قادراً على الدراسة في الوقت الذي يتعلم فيه من المجتمع فإنّه سيكون مهيئاً لخدمة مجتمعه في الأعمال الخاصة أو الحكومية أو الوظائف والمهن الأخرى. وسوف يجني من وراء ذلك التدريب الذي يؤهله للقيادة، فالنشاط الأكاديمي يصبح مجرد رياضة ذهنية عندما ينأى عن الشئون الإنسانية ويصبح الباحث بذلك بمثابة الولد الماجن في المجتمع". وبناءً على ذلك خطى فوكوزاوا عام 1890 خطوة رائدة في تطور واقع التعليم العالي، من خلال تحويل مدرسته الخاصة إلى مؤسسة تعليمية كبرى واطلق عليها)جامعة كيو Keiō Gijuku Daigaku)، وبذلك بدأت أول جامعة خاصة في اليابان نشاطها في خدمة التعليم العالي بثلاثة أقسام هي: القانون والاقتصاد والأدب، وتولي رئاسة كل قسم من تلك الأقسام أستاذ أميركي، وتطورت بعد ذلك لتضم تخصصات متعددة في المجالات العلمية والانسانية، وخلال مناسبة حفل افتتاح الجامعة الجديدة، حذر فوكوزاوا تلاميذه من أنْ يفقد المرء نفسه في التعليم ،قائلاً: "**وفيما يتعلق بإصراري على ألا يفقد المرء نفسه في التعليم، فمرد ذلك إلى أنني أعد الدراسة فناً** عملياً، فبمجرد تخرجكم احتفظوا داخل عقولكم بما تعلمتموه واتجهوا إلى ممارسة أعمالكم في المجتمع، وانغمسوا بين حشود الناس واختلطوا بهم فإن ذلك سوف يغير من أفكارهم وبذلك تتاح لكم فرصة توسيع نطاق التعليم بروح ميدانية فاعلة وراسخه"[197].

---

[195] رؤوف عباس، التنوير بين مصر واليابان....، المصدر السابق، ص92.
[196] المصدر نفسه، ص92-93.
[197] رؤوف عباس، التنوير بين مصر واليابان...، المصدر السابق، ص94-95.

ويعكس ذلك نظرة فوكوزاوا إلى التعليم العالي فهو يرى أنْ يقتصر ذلك التعليم على النخبة من الشباب الموهوبين الذين يريدون العمل من أجل تحقيق استقلال البلاد، وأشار بهذا الصدد: "إنّ التعليم العام يحقق استقلال الفرد بينما التعليم العالي يحقق استقلال الوطن"[198].

ومن جهة أخرى حظي تعليم البنات في مقدمة اهتمامات فوكوزاوا، فكتب كثيراً حول تعليم البنات في المدارس وفي البيوت، ودعا إلى ضرورة إتاحة التعليم لكل البنات من دون تمييز على أساس الثروة أو المكانة الاجتماعية، وكتب فوكوزاوا سلسلة مقالات بعنوان(في تعليم النساء)، إذذكر فيها: "**عندما تولد البنت يجب أنْ تحظي بالحب والاهتمام الذي يحظى به المولود الذكر، فلا تنبذ لمجرد كونها أنثي، وعندما تكبر لابد من الاهتمام بحالتها الصحية جسدياً وذهنياً، ويجب ألا تحرم من التعليم لمجرد كونها أنثي، وإذا كانت لدى الأسرة أملاك يجب أنْ توزع بالتساوي بين الأبناء ذكوراً وإناثاً، وفوق ذلك كله يجب أنْ تتعلم البنت مهنة تساعدها يوماً ما**"[199]. وعلى نحو عام، ابدى فوكوزاوا اهتماماً استثنائياً بضرورة تطبيق النظام التعليمي الحديث في اليابان، على ان تكون أدارة التعليم وقراراته بعيدة عن التدخلات السياسية، وعد التعليم القاعدة الاساس لتطوير واقع اليابان بمختلف مجالاته السياسية والاجتماعية والاقتصادية.

وفيما يتعلق بالمجال الاقتصادي أبدي فوكوزاوا اهتماماً مبكراً بالاقتصاد وترجم العديد من المؤلفات الغربية والقى الكثير من الخطب وكتب مقالات كثيرة لتنوير وتثقيف الحكومة والمجتمع الياباني بالأفكار الاقتصادية الحديثة[200]، كتب عن العملة الورقية والشركات التجارية في كتابه "أمور غربية" ، وترجم فوكوزاوا الكتب في طرق المحاسبة والاقتصاد السياسي، والشركات الاحتكارية، والضرائب، ونقد القيم اليابانية التقليدية الخاصة بالتجارة والأعمال المالية، فقد ذكر: "**إنّ اليابان شهدت في الأزمنة القديمة من حققوا ثروات طائلة يكتنزونها في قدور ودفنها في الأرض لأنهم لا يعرفون شيئاً عن الاقتصاد العالمي ولا يعرفون كيف يبذلون الجهد في تنميتها؛ لأنّهم لا يدركون منافع التجارة**"، وفي الوقت نفسه وجّه نقده للعلماء الذين ابتعدوا عن دراسة القضايا الاقتصادية وعدوها نشاط غير جدير بالدراسة، بينما الفلاحون والتجار يخجلون من أنفسهم، ما أبعد العلماء من عالم الفلاحين والتجار، وهو الأمر الذي وقع على عاتق المهتمين بعلوم الغرب بإعداد الدراسات الاقتصادية لتنوير وتمهيد الطريق للملايين من الفلاحين والحرفيين والتجار نحو سلوك سبيل الاقتصاد الحديث، وتضمنت ترجمة فوكوزاوا لفصول كتاب الاقتصاد السياسي شرحاً للاحتكار والمنافسة، وعمل على صياغة المصطلحات اليابانية الخاصة بها لأول مرة موضحاً فوائد المنافسة الحرة والمضار التي تلحق بالاقتصاد نتيجة الاحتكار[201].

أعلن فوكوزاوا أنّ نظريته الاقتصادية كما أشار بصددها هي:"**أنْ يكسب كل فرد عيشه بعرق جبينه؛ لأنّ ذلك هو قانون الطبيعة، وعلى الحكومة توفير فرص العمل والاستفادة من الطاقات الشابة؛لانّ تقاعس الحكومة من توفرها وعدم اتاحتها بالوطن فقد يضطر الشباب الهجرة إلى البلدان الأجنبية طلباً للرزق**"، وهو الأمر الذي عارضه فوكوزاوا بقوة، متخذاً من تجربة اذلال العمال الصينيين في الولايات المتحدة الاميركية نموذجاً لذلك، على أنْ تقتصر الهجرة الخارجية على المعلمين اليابانيين الذين تلقوا تعليماً غربياً إذا لم تتح لهم فرصة العمل في اليابان، على ان يضمنوا لأنفسهم التفوق والصعود بالمجتمع الاميركي على أن تبقي روح الولاء فيه اتجاه أمتهم، الأمر الذي دفع عدد من خريجي مدرسته الخاصة كيو للهجرة إلى الولايات المتحدة الاميركية، ووصل عددهم إلى نحو)1000) متخرج هناك بداية القرن العشرين[202].

---

(198) Marius B.Jansen, The Making of Modern, (Massachusetts, Marrard University Press,2000),p.409.

(199) Rebecca L. Copeland, Lost leaves: women writers of Meiji Japan,(Honolulu, University of Hawai'i Press,2002),p.11.

(200) Eiichiro Azuma, Between two empires: race, history, and transnationalism in Japanese America,(New York, Oxford University Press,Inc.,2005),p.20.

(201) رؤوف عباس، التنوير بين مصر واليابان....،المصدر السابق، ص116-120.

(202) Azuma,Op,Cit.,p.21-22.

اتخذ فوكوزاوا في آب 1880، بمناسبة افتتاح احد الشركات اليابانية، موقفاً معادياً من التجارة الأجنبية في اليابان قائلاً: "**إنّ الأجانب نجحوا في غزو بلادنا وارتفع شأن تجارهم، وليس أمامنا اليوم إلاّ طريق واحد، وهو أنْ ننتزع من الأجانب الامتيازات التي حصلوا عليها في مجال الأعمال التجارية، وأنْ نوسع نطاق تجارتنا الوطنية، ونغزوا بتجارتنا البلاد الأجنبية وأنْ نبيعهم بضائعنا في بلادهم وأنْ نشتري منتجاتهم لنبيعها في بلادنا، وهذا ما يطلق عليه بالاستيراد والتصدير المباشرين**".[203].

لم يكن فوكوزاوا متجاهلا بعض الأفكار الاقتصادية التقليدية وتمسكه بالموروث القديم في عالم الاقتصاد عندما نقد تشريع العمل الصادر في عام 1896 وطالب من خلاله بتطبيق التقاليد الخاصة بالعلاقات السابقة بين سيد الإقطاع والفلاحين، على العلاقة الحديثة بين أصحاب العمل والعمال في الصناعة؛ انطلاقاً من تقاليد اليابان في مجال العمل، وبرر اعتراضه على تشريع العمل لكونه يؤدي إلى تقليل فرص العمل ومن ثم إنقاص أجور العمال نتيجة تقليل ساعات العمل، وزعم أنّ مشروع القانون لا يناسب الأوضاع في اليابان؛ كونه جاء ترجمة للقوانين الغربية، وبذلك عبر فوكوزاوا عن وجهة نظر دوائر الأعمال في اليابان في ذلك الوقت، وضرورة تبني بتطبيق تقاليد العمل في القرية، على قطاع الصناعة الحديث واستعمالها كإجراء مؤقت لحين بلوغ الصناعة اليابانية درجة عالية من التطور، وعندما من الممكن إدخال تشريعات العمل الحديثة اليها، وعارض فوكوزاوا المساس بحرية العمال وحقوقهم المدنية، واعترض على هجوم الشرطة على العمال لفض إضراباتهم عام 1898، وأيد حقهم في تكوين النقابات للدفاع عن مصالحهم، وكانت دعواته إلى تطبيق تقاليد العمل في القرية على قطاع الصناعة تعتمد على طبيعة العلاقة بين عامة القرية والسيد الإقطاعي التي كانت تعد – نظرياً علاقة أبوية فلا يحكمها إلاّ الاختلاف في المكانة الاجتماعية – ويعني ذلك أنّ فوكوزاوا لم يرفض تماماً الموروث التقليدي، بما أنّه يحقق النفع العام للمجتمع[204].

أ–الجانب السياسي والحضاري

ساهمت الاعمال والمؤلفات الغربية والاوربية المترجمة إلى اليابانية، لاسيّما نتاجات فوكوزاوا في نمو الثقافية المعرفية لدى اليابانيين في ضوء ما نقلته تلك المؤلفات من معارف وعلوم وثقافات، والتي أقبل المجتمع على قراءتها بشكل متزايد، لاسيّما المتعلّق منها بموضوعات الفكر السياسي، إذ أسهمت إلى حد كبير في توعية الشعب بالأفكار والقيم الجديدة التي كانت غريبة على الفكر السياسي لليابان، ومنها: التمثيل النيابي، حرية الرأي، الديمقراطية، الاحزاب والتعددية الحزبية، الدستور والنظام الدستوري، وغيرها[205].

أسّس فوكوزاوا في عام 1882 جريدة)الأحداث المعاصرة– جيجي شمبو Jiji shimpo)، وكتب فيها العديد من المقالات الناقدة حول مختلف القضايا المعاصرة ،بما في ذلك السياسة والعلاقات الدولية والمشاكل الاقتصادية والمالية والسياسة التعليمية، وحقوق المرأة، وعدّت منبراً اعلامياً حراً ومستقلاً، استطاع من خلالها توصيل رسائل إصلاحية عدة، بلغة علمية واضحة إلى الحكومة والشعب على حد سواء، وكان لها دور كبير في تهيئة الوعي الشعبي اتجاه قضايا التغيير والتحديث[206].

أعلنت سياسة الجريدة في عددها الأول التي تتلخص في نشر مبادئ الاستقلال التي كانت المبدأ الذي اتبعته مدرسته طوال ربع القرن، وفي ذلك أشار فوكوزاوا: "أريد أنْ يكون تعليمنا مستقلاً لا يعتمد على ما يقدمه لنا الغرب من سقط المتاع. نريد أنْ تكون تجارتنا مستقلة لا تخضع لهم .نريد أنْ يكون قانوننا مستقلاً لا يخضع لضغوطهم. نريد أنْ تكون عقيدتنا مستقلة لا تطأها أقدامهم. وباختصار لقد جعلنا استقلال بلادنا هدف حياتنا وكل من يشاركوننا هذا الهدف هم أصدقاء لنا ومن ينكرون علينا ذلك هم أعداء لنا"[207].

---

[203] رؤوف عباس، التنوير بين مصر واليابان...،المصدر السابق، ص123-125.
[204] المصدر نفسه، ص127.
[205] إسماعيل، المصدر السابق، ص255-256.
[206] Sharp,Op, Cit.,p.40.
[207] رءوف عباس، التنوير بين مصر واليابان....، المصدر السابق، ص33.

نأى فوكوزاوا بنفسه تماماً عن جوهر الفكر السياسي التقليدي فقد كانت هناك فجوة كبيرة بين الأفكار التقليدية المتعلقة بالحكومة وتبرير سلطتها، وأخذ فوكوزاوا على عاتقه نشر الأفكار الخاصة بالمساواة، وأكّد في هذا الصدد قائلاً: "أنّ التفاوت في الثروات بين الناس إنما جاء نتيجة عملهم وليس بقرار من السماء؛ لأنّ الثروة والقوة والعظمة كلها أمور تؤدي دوراً فعالاً في تغيير أحوال الناس ومن ثم يجب على الناس، أن يحبوا بعضهم بعضاً، وأنْ يحترم بعضهم بعضاً فمن حق كل إنسان أنْ يمارس واجباته وأنْ ينال ما يريده طالما أنّ ذلك لا يمس حقوق الآخرين"، ولتوضيح ذلك كتب فوكوزاوا: "إذا أمعنا النظر في التوازن بين العلاقات الإنسانية فسنكتشف أنّ الناس جميعاً متساوون قد يختلفون في المظهر ولكنهم متساوون في الحقوق، وقد تكون هناك اختلافات بين البشر من حيث المظاهر الخارجية كالغني والفقر والقوة والضعف والذكاء والغباء ومهما كانت أوجه الاختلاف بين الناس فإنّ ذلك لا يبرر التمييز بين الناس في الحقوق"[208].

أكّد فوكوزاوا على أنّ انصار المحافظة على التراث التقليدي يخلطون الأشياء بعضها ببعض ويؤلون تفسيرها بما يبتغوه من تفسير يوافق قناعاتهم، والناجمة عن ضيق افقهم في رؤيتهم للأشياء من منظار واحد، إذ قال:)(إنّهم يخلطون بين الاشياء بطريقة عشوائية نتيجة ما يقدمونه من اقتراحات، فهم يفترضون أنّ المساواة في الحقوق بين جميع افراد الشعب مأخوذة من المبادئ الجمهورية، والمبادئ الجمهورية مأخوذة من المسيحية، والمسيحية ثقافة غربية..وهم يفترضون أنّه طالما كانت ثقافة فوكوزاوا غربية فإنّ نظريته الخاصة بحقوق الشعب مستمدة من المسيحية والمبادئ الجمهورية.. وترجع مثل هذه الاقتراحات إلى رؤية الأشياء من جانب واحد.. فتاجر الخمر ليس بالضرورة عاقرها، وصانع الحلوى ليس بالضرورة آكلها، ولا يجب أنْ نحكم على التاجر بمجرد رؤيتنا للبضاعة الموجودة في متجره))[209].

إلى جانب ذلك أكّد فوكوزاوا أنّ المظاهر الخارجية للثروة الوطنية والنفوذ لا تتحدد بقرار من السماء بل تأتي نتاجاً لما يبذله الناس من جهد، مشيراً ذلك بقوله: "إذا قام اليابانيون بالسعي سعياً جاداً لتحصيل العلم والمعرفة من أجل تحقيق استقلالهم الشخصي وإثراء أمتهم وتقويتها وصولا إلى الاستقلال الوطني، وحينها لا نخشي الدول الغربية ، ويجب أنْ تسود روح الاستقلال في بلادنا، أن اردنا الدفاع عن بلادنا ضد التهديد الأجنبي فعلى كل فرد أنْ يتحمل مسئوليته تجاه الأمة بغض النظر عن وضعه أو مكانته، أنْ نتعامل مع التراب الوطني كما نتعامل مع بيوتنا وأن نضحّي بأرواحنا وأموالنا من أجل الوطن ما تمليه علينا واجباتنا الوطنية"[210].

ولم يمضِ وقت كبير حتى قام عدد كبير من الناس الذين تأثروا بأفكار فوكوزاوا في تنظيم أنفسهم بحركة سياسية أطلق عليها)حركة المطالبة بالحرية وحقوق الشعب Jiyu Minken Undo) التي هدفت إلى نشر روح الحرية في البلاد، إلّا أنّ فوكوزاوا نفسه اتّبع سبيل التوفيق مع الحكومة الذي ينعكس على منطقه الخاص بالعلاقة التعاقدية بين الحكومة والشعب[211].

وبناءً على ذلك أنّ فكرة فوكوزاوا القائلة بأنّ: "الحكومة قد جاءت نتيجة علاقة تعاقدية مع الشعب تعد فكرة ثورية"، لكونها تقوم على افتراض أنّ حقوق السيادة للشعب وحده، ودعا إلى استمرار الحكومة بواجباتها، والقبول بدرجة معينة من الطاعة لها، ونبذ المقاومة الثورية الموجهة ضد الحكومة، ولاسيّما بعد أنْ ناقش الخيارات الثلاثة الممكنة وهي: الخضوع والمقاومة المسلحة والتضحية بالنفس من أجل تحقيق مبدأ العدالة، ورأى أنّ الخيار الثالث هو الخيار الأفضل، وأشار في هذا الصدد قائلاً: "إذا وقع ضغط متزن على الحكومة فإنّ ذلك لن يلحق الضرر بالإدارة الجيدة القائمة أو بالقانون وبذلك ما لا يمكن إنجازه هذا العام يصبح هناك فرصة لإنجازه في العام التالي، فضلاً عن ذلك أنّ المقاومة المسلحة للحكومة قد تؤدّي إلى تحطيم مائة شيء من أجل

---

[208] رءوف عباس، التنوير بين مصر واليابان....، المصدر السابق، ص33.

[209] رؤوف عباس حامد، المجتمع الياباني في عصر مايجي، (القاهرة ، دار الكتاب الجامعي، 1980) ، ص296-297.

[210] Ronald S. Anderson, Education in Japan: A Century of Modern Development, (Washington, U.S. Department of Health, Education and Welfare, 1975),p.7.

[211] للاطلاع عن ظروف تأسيس الحركة واهدافها ونتائجها، انظر: رؤوف عباس حامد، حركة المطالبة بالدستور في اليابان 1878 – 1890،المجلة التاريخية المصرية،مج22، مطبعة الجيلاوي، القاهرة 1975.

تحقيق هدف واحد، ولكن المطالبة المتعلقة بالإصلاح تؤدي إلى إزاحة المساوئ تدريجياً من دون التسبب في المزيد من المشاكل، ولما كان الغرض من ذلك وضع نهاية لمظالم الحكم فإنّ النقد يتوقف بمجرد عودة الحكومة إلى طريق الصواب، كما أنّ اللجوء إلى المقاومة المسلحة يؤدي إلى شيوع الغضب والعنف المضاد فبدلاً من أنْ تعيد الحكومة النظر في مساوئها تتمسك بموقفها ويزداد طغيانها"[212].

وعلى الرغم من أنّ عدداً كبيراً من الزعماء الرئيسيين لحركة الحرية كانوا متأثرين بأفكار فوكوزاوا الخاصة بالمساواة الاجتماعية، إلّا أنّه أبدي نفوراً من الحركة، ففي سلسلة المقالات التي نشرها بعنوان)الدايت الوطني والظروف التي أدت إلى قيامه)، في جريدته الخاصة، وصف دعاة الحركة بأنّهم مجموعة من الانتهازيين الذين يتطلعون إلى الحصول على المناصب الحكومية وأشار في ذلك الصدد قائلاً: "إنّي مضطر أنْ أعلن أنّ اليابان ما زالت تفتقر إلى حركة حقيقية لحقوق الشعب، وأنّ ذلك الجدل المزعج الذي نسمعه من وقت لآخر ليس إلا محاولات من جانب الساموراي العاطلين والمثقفين الذين أصابهم الإحباط بعدم توليهم مناصب الحكومة فأخذوا يسببون لها الإزعاج بإثارة مشاكل مصطنعة، وأنّني أرى أنّ أولئك الناس لا حول لهم ولا قوة ولا قبل لهم بمواجهة الحكومة وحتى لو لجأوا إلى إثارة الشعب فإن حركتهم كالتراب تذروه الرياح"، وشدّد فوكوزاوا على ضرورة توفير متطلبات الدفاع الوطني أكثر من فوضوية الحريات الفردية[213].

وفي نفس تلك المجموعة نفسها من المقالات ذكر فوكوزاوا "إنّ البرلمان لا يمكن أنْ يقام تحت ضغط أناس من خارج الحكومة ولكن رغبة رجال الحكومة هي التي أدت إلى قيامه؛ لأنّ الدايت لا يسبب ضرراً للأسرة الإمبراطورية لكونها تختلف عن ملوك البلدان الأخرى فقد خلقوا ملوكاً قبل أنْ توجد اليابان نفسها وسوف يظلون كذلك إلى الأبد فهم يتمتعون بالقداسة" ، الا ان ذلك التقدير للبيت الإمبراطوري الذي عبر عنه فوكوزاوا كان له ما يبرره فقد رأى في البيت الإمبراطوري رمزاً للأمة اليابانية وللشخصية القومية أمام العالم الخارجي واشار في هذا الصدد قائلاً: "يجب أنْ يظل البيت الإمبراطوري رمزاً للأمة يوجه أرواح جنودهم في الجيش والبحرية ويحدد الغاية لتضحياتهم ويعمل على رفع مستوى الأمة الأخلاقي ويقود عملية التشجيع على التعليم والاعتراف بالعلماء المتميزين لدعم استقلال التعليم وتشجيع الفنون من أجل إثراء الحضارة"[214]. ويبدو ان فوكوزاوا رأى في البيت الامبراطوري الحارس الأمين للثقافة اليابانية عامة، الذي يجب أنْ يظل بمنأى عن السياسة، ومن ثم يعكس بطريقة غير مباشرة وجهة النظر الليبرالية في السلطة، للحفاظ على مركزية السلطة وعدم تشتتها بين دعاة التغيير غير المدروس في شكل الحكومة وطريقة أدارتها.

تطلبتْ عملية حسم الصراع بين(التقليد)Tradition و(الحداثة Modernity) على صعيد بناء الدولة والمجتمع، إلى قوة مؤثرة في دعم الوحدة وصيانة روح الإستقلال فيها، وتتمثل هذه القوة بالإمبراطور، وفي هذا الصدد أشار فوكوزاوا قائلاً: "إنّ عائلتنا الإمبراطورية جوهرة نفيسة غير متصدعة لأجيال عديدة, تجمع شعث قلوب الرجال سوية, فضلاً عن كونها غمرتْ الشعب الياباني ببهائها الوهاج، وجمعته تحت أنوارها, ويتوجب على الشعب الياباني أن يحافظ على النظام الإجتماعي في الداخل ويوسع الهيبة القومية في الخارج. ويجب أن لا تنتهك حرمة هذه الجوهرة، وأنْ لا تبعثر هذه القوة الجامعة للشمل". وفي مقالة أخري له عن)تمجيد الإمبراطور Sonno)، أكّد على دور المؤسسة الإمبراطورية المشابه لدور نظيرتها في بريطانيا، إذ قال: "تمثل العائلة الإمبراطورية نقطة جامعة لقلوب الرجال وترقق الخلافات الناشئة عن المجادلات السياسية, وتسيطر على الجيش والبحرية وتعلمهم أهدافهم, وتكافأ الأبناء المطيعين والزوجات الفاضلات ومن هم أهل للمكافأة والتقدير, وتجلب الإخلاص للتعليم الأخلاقي للأُمة بكاملها,

---

(212) James L. Huffman, Creating Public: People and Press in Meiji Japan, (Honolulu, University of Hawaii press,1997),p.5.

(213) Arthur E.,Tiedemann, An introduction to Japanese Civilization, (New York, Columbia, University Press, 1974),p.172.

(214) رؤوف عباس، التنوير بين مصر واليابان....، المصدر السابق، ص50.

ضاربة مثالاً يحتذي به في رسائل الشرف وإجلال العلماء, وتجعل من التعليم الياباني مُستقلاً، وتنقذ الفنون من الهجر وتعزز ازدهار الحضارة"[215].

وعلى أي حال، كان فوكوزاوا يعارض التعجل في إقامة المجلس النيابي أو الإطاحة بالحكومة الأوتوقراطية على يد حركة الحرية وحقوق الشعب، وعد نظام ميجي حكماً تقدمياً ودعا إلى إقامة نوع من التوازن بين الحكومة والشعب، وأيقن فوكوزاوا قائلاً: "إنّ إغفال أهمية تحقيق ذلك التوازن سوف يؤدي إلى إضعاف اليابان؛ لأنّ الناس قد اعتادوا الخضوع للحكومة وافتقدوا روح الاستقلال، ومن ثم أخطأوا كثيراً في تقدير دورهم في مقابل دور الحكومة، وتصوروا أنّ الحكومة تحسن أداء الأشياء أكثر منهم، وأنّ عليهم أنْ يتركوا المسائل المهمة للحكومة لتتولّي معالجتها"[216].

وعد فوكوزاوا التوازن الدقيق بين الحكومة والشعب سر من أسرار التقدم الحضاري، فالأنشطة التي تقع في مجال الشعب لابد أنْ تتزايد وتتنوع وأنْ تكون مثاراً للجدل والتجربة والحيوية والمبادرة والتقدم، أما مجال الحكومة فيتمثل في عدم استعمال السلطة للحد من الحركة الشعبية وتبديد حيوتها، وتماشياً مع مبدأهُ التوفيقي المتوازن بين الحكومة والشعب ذهب فوكوزاوا إلى أنّ أطر الحكومة سوف تتطور تدريجياً نحو تحقيق الانتقال من الأوتوقراطية إلى الديمقراطية وأشار في ذلك الصدد قائلاً: "إنّ الدراسة الدقيقة للأمور السياسية سوف تبين لنا أنّه لا توجد قوة تحول من دون تحول الأوتوقراطية إلى الحرية، فكما تجري المياه من الأعلى إلى الأسفل فلابدّ أنْ يحدث ما يغير من مجراها، وتشير الحقائق التي لا مراء فيها أنّ الاتجاهات التي طال أمدها عبر آلاف السنين إلى أنّ الملكية تفسح الطريق للديمقراطية والاستبداد يفسح الطريق لليبرالية"[217].

أولى فوكوزاوا ضرورة تبني مفهوم)الحضارة الغربية) فكراً وتطبيقاً، في نتاجاته الفكرية، حتى انه ربط استقلال بلاده وسيادتها بتبني الحضارة الغربية، كما جاء في مؤلفه)خلاصة نظرية الحضارة)، والذي جاء فيهِ: "ليس هنالك طريق آخر للحفاظ على استقلالنا الا من خلال تبني الحضارة الغربية، يجب أنْ نتقدم باتجاه الحضارة فقط لغرض الابقاء على استقلالنا الوطني"[218].

وذكر في قول آخر له أنّ الهدف من الحضارة هو تسهيل عملية الاتصال بين بني البشر لأجل تناقل الافكار والثقافات فيما بينهم وهو ما يجده في الحضارة الغربية، إذْ أشار في هذا الصدد: "إنّ الحضارة الغربية ليست تعاليم اخلاقية ولا ادبية ولا نظريات.. وفي رأيي لابد من القول بأنّ الحضارة أنّما تكمن في تسهيلات الاتصال بين الناس، فالمجتمع يتكون من خلال الاتصال المتبادل بين الجنس البشري، فهناك مجتمعات كبيرة وصغيرة وأخرى نشطة لكن لاحول لها، وكل هذا يتوقف على ما اذا كان الاتصال ملائماً أم لا.. وايجاد تسهيلات الاتصال عامل مهم في استخدام الجسم والروح البشرية بطريقة واقعية، وعندما يستعمل الجسم والروح عملياً، عندها يجب ان لا يسمح للآداب والنظريات في المجتمع بتجاوز حدود الاستعمال العملي"[219].

وعلى الرغم من ايمان فوكوزاوا بالحضارة الغربية، ولكنه لم يقصد الأخذ بها كما هي بكونها نموذج الحداثة للبلد، وإنّما دعا إلى ضرورة تطويعها لحاجات البلد ومزاج الامة النابع من تقاليدها الاجتماعية، وضرورة التمييز بين سطحية الحضارة وجوهرها وذهب فوكوزاوا إلى أنّ المظاهر الخارجية للحضارة تعد جميعها ذات طابع تطبيقي كالطعام والملابس والمسكن والأدوات والمعدات ونحوها، إلى جانب القوانين والمؤسسات الحكومية على اختلاف تشكيلاتها فإذا وصفنا تلك المظاهر الخارجية حضارة فإنّ كل أمة ستتبع منهجاً انتقائياً لتطبيقها على طريقتها، ولذلك يجب على انْ لا يقلد أسلوب الغرب تقليداً أعمى؛ لأنّ ذلك لم يعد حضارة؛ نظراً لاختلاف تلك البلدان عن المجتمعات الغربية وفي ذلك يقول:"لا يجب أن نقيم حضارة بلد ما من خلال مظاهرها الخارجية فالمدارس، والصناعة، والجيش، والبحرية جميعها مجرد أشكال خارجية للحضارة. وليست هناك صعوبة في إيجاد تلك الأشكال التي

---

(215) Li Yuk Heung, Women`s Education in Meiji and the Development of Christion Girl`s School, The Degree of Dector, University Hong Kong, 1993., p.111.

(216) Ravenell, Op, Cit., pp.22-23.

(217) رؤوف عباس، التنوير بين مصر واليابان....،المصدر السابق، ص51.

(218) إسماعيل، المصدر السابق، ص236.

(219) إسماعيل، المصدر السابق، ص237.

يمكن شراؤها بالمال ولكن هناك مكوناً روحياً إضافياً فيها لا يرى بالعين المجردة ولا يباع أو يشترى كما لا يمكن استعارته، غير أن تأثيره على الأمة عظيم، ومن دونه تفقد المدارس والصناعات والمؤسسات العسكرية معناها، فلا شك أنّ القيمة الكبرى للحضارة تكمن في تطوير روحها التي هي في الوقت نفسه روح الاستقلال الكامنة في الشعب")[220].

رأي فوكوزاوا أن على اليابان بناء روح الحضارة الخاصة بها، بدلاً من استيراد المظاهر الخارجية للحضارة فقط ، وأشار السبب في ذلك قائلاً: " إنّ حجر الزاوية للحضارة الحديثة يمكن إرساؤه فقط عندما يتغير الشعور الوطني تغيراً ثورياً وهو ما ينعكس على تغيير مؤسسات الحكومة، وبتكوين قواعد الحضارة الذاتية عندها ستكون المظاهر الخارجية المادية للحضارة تبعاً لذلك في صورة طبيعية من دون حاجة إلي بذل مزيدا من الجهد، وتتحقق من دون أنْ ننشدها، على أنْ نقوم أولاً بإصلاح أفكار الناس ثم الانتقال إلى إصلاح نظام الحكومة وفي النهاية نتجه إلى المظاهر الخارجية"[221]. وأضاف فوكوزاوا قائلاً: "أنّ الحضارة علاقة تعاقدية بين الناس ومشروع تحقيقها هدفاً حيوياً للبشرية ويحتوي على نوع من تقسيم العمل بين الناس يقوم فيه كل شخص بأداء دوره في تحقيق ذلك الهدف، فتختص الحكومة بحفظ النظام وتسيير الأمور ويركز العلماء جهودهم على المجالات الفكرية، وتبذل الصناعة والتجارة جهودها في تكوين ثروة الأمة. وبذلك يقدم كل فريق مساهمته في صنع الحضارة"[222].

ويبدو ان فوكوزاوا رأى أنْ تقدم الحضارة يتضمن التطور العقلي والخلقي للشعب، وان الاقتباس الحضاري مرهون بالتمييز بين ما هو موروث وما هو مكتسب وذلك للحفاظ على استقلال البلاد، لبلوغ البناء الذاتي الحضاري بروح يابانية خالصة، ورغم أن فوكوزاوا لم يشغل أي منصب حكومي طوال حياته فقد أدى دوراً مهماً في دعم حكومة ميجي من خلال تنويره للطبقة الحاكمة، وأنفرد بين غيره من رجال العصر بالدعوة إلى الاستقلال الوطني، والاعتماد على الذات، واحترام النفس وتنقية الموروث الثقافي، ورفض القيم التي تدعم استبداد الحكم على حساب الشعب، والايمان بالانتقال التدريجي في تطوير أداء الحكم السياسي، وبما يتوافق مع خصوصية البيئة اليابانية، مع ضرورة الحفاظ على الرمزية الثقافية والمركزية لإمبراطور اليابان.

في 25 كانون الثاني 1901 ، تعرض لجلطة دماغية وتوفي في الثالث من شباط من العام نفسه، وأمرت الحكومة بإقامة نصب تذكاري في المكان الذي دفن فيه، في معبد)زينبوكو جي Zenpuku–ji) في مدينة)أزابو)Azabu في طوكيو، ولدوره الكبير في نهضة اليابان الحديثة وضعت صورته على وجه العملة الورقية اليابانية لفئة الـ)10000 ين)، وهي أعلى فئة في الاوراق الورقية النقدية في اليابان، ووصفه المؤرخون بـ"أب الثقافة اليابانية الحديثة"[223].

وعلى أي حال، أستطاعت منجزات فوكوزاوا الثقافية ان تفرض وجودها في تاريخ اليابان الحديث، واصبحت مرتكزات اصلاحية مهمة لكل دعاة التغيير والاصلاح، وفي مختلف مجالات الحياة، وأثرت بشكل كبير في وعي المجتمع الياباني من جهة، والطبقة الحكومية من جهة أخرى، وصولاً الى نجاح التجربة الاصلاحية اليابانية الحديثة خلال عهد ميجي.

الخاتمة: في ختام البحث تم التوصل إلى النتائج الآتية:–

–**التحديات الاجتماعية لم تكن بالضرورة عاملاً معرقلاً لطموح الفرد ونجاحه:** على الرغم من المناخ الاجتماعي التقليدي الصارم الذي واجههُ فوكوزاوا منذ طفولته، إلاّ أنّهُ استطاع تحدي تلك الظروف، لتكون الدافع الأكبر في بلورة شخصيته الفكرية والثقافية، ليرتقي بعد ذلك ليكون "أب الثقافة اليابانية الحديثة"، ووضعت صورته في أعلى فئة نقدية في اليابان، تثميناً لدوره الكبير في نهضة اليابان.

(220) Sharp,Op, Cit.,pp.52-54.
(221) Wittner, Op, Cit.,pp.8-9.
(222) رؤوف عباس، التنوير بين مصر واليابان...، المصدر السابق، ص247-250.
(223) Shunraku, Op, Cit., p.1.

-**الفرصة أداة مهمة لتطوير واقع الفرد إن استغلت بشكل سليم:** استطاع فوكوزاوا استثمار جميع الفرص التي عرضت عليه قبل عهد ميجي، بما في ذلك الفرص التعليمية ورحلاته الخارجية، لتكون محطات تطويرية مهمة لأفكاره الحديثة، التي رسمت طريق توجهاته المستقبلية بوعي علمي مؤثر في محيطة الاجتماعي والسياسي والاقتصادي، من خلال ترجمة الكتب الغربية واعداد المؤلفات وتأسيس المدارس والجمعيات والصحف والقاء الخطب، لتكون ادوات مهمة لحركته الثقافية في اليابان.

-**الابتعاد عن المناصب الحكومية، يجعل المفكر حراً في عمله ومؤثراً في نقده:** واتخذ فوكوزاوا قراراً مهماً وغريباً نوعاً ما في بداية سيرة عمله، وهو رفضه قبول أي منصب رسمي في حكومة ميجي الجديدة، رغم مناشدات الامبراطور وقادة الحكومة له، مستندا بذلك الى قناعته الداعية للمحافظة على استقلاليته الفكرية، والتوجه الى مهمته الثقافية، ألا أنّ فوكوزاوا أدى دوراً مهماً ومحورياً في رسم سياسات حكومة ميجي الجديدة، من خلال تقديم المقترحات والأفكار المتنوعة في مختلف المجالات إلى المسؤولين في الحكومة، واصبح مكان عمله المستقل في مدرسة)كيو) مزارا لوفود المسؤولين طلباً للاستشارة في أدارة الحكم وبرامج الاصلاح، الى جانب دوره الثقافي المؤثر في المجتمع الياباني.

-**الرصيد الفكري للفرد يمثل دعامة اساسية لتقييم الثقافات العالمية:** أدت شخصية فوكوزاوا العلمية والفكرية التصدي لمواجهة الصراع الدائر بين انصار)الثقافة الصينية)، ودعاة)الثقافة الغربية)، وحسم ذلك الجدال من خلال التوجه إلى الافادة من علوم الغرب في الجوانب المادية المختلفة، والاضافة إليها والابتكار منها، بالاعتماد على الذات، والحفاظ على الخصوصية الاخلاقية والروحية لليابان،وان لا جدوى من التعظيم بالماضي والتبجح بالتراث، ما لم يكن هناك توظيف منطقي لحاضر البلاد ومستقبلها.

-**الاقتباس الكلي من الحضارات العالمية انهيار لمقومات الحضارة الداخلية:** وعلى الرغم من إعجاب فوكوزاوا الصريح بالفكر الغربي والحضارة الغربية، ألاّ أنّه فضل إتباع أسلوب انتقائي عند الاقتباس منها،على أنْ لا يتعارض مع الثقافة الوطنية للمجتمع ،وتكون مناسبة لظروفه الموضوعية والاجتماعية.

- **المفكر هو ذلك الفرد الذي يحمل هموم بلده، لا سيما في الازمات التي يتعرض لها الوطن:** أنّ ثقافة فوكوزاوا الواعية بعدوانية الغرب وخطورته على بلاده، وهو ما جعله يركز على فكرة الاستقلال الوطني الذي رأى أنّ السبيل لتحقيقه لا يتم إلا من خلال الاستقلال الفردي، والاعتماد على الذات كمنطلق للوصول الى درجة التقدم الحضاري التي بلغها الغرب، على أنْ يقوم ذلك على السمات الجوهرية للمجتمع، بعيداً عن مبدأ التبني العشوائي للحضارة الغربية واقتباس مظاهرها الخارجية.

References:

أولاً: الكتب الوثائقية

Duke, Benjamin, The History of Modern Japanese Education: Constructing the National School System 1872-1890,)New Jersey, Rutgers University Press, 2009). -1

Kikuchi, Baron Dairoku, Japanese Education,)London, Albemarle Street,W., John Murray, 1909). -2

ثانياً: الرسائل والاطاريح

أ- العربية

1-النجار، سحر عباس عبد الحسن ، الأوضاع السياسية الداخلية في اليابان 1926-1939، رسالة ماجستير(غير منشورة)، كُلية التربية، جامعة البصرة، 2010.

2-إسماعيل، أحمد أمير، الحركة الإصلاحية في اليابان(1868-1912)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية- ابن رشد، جامعة بغداد، 2006.

3- حسين، طارق جاسم ، جذور التحديث في اليابان في أواخر عهد أسرة توكوگاوا)1853-1868)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، 2010.

4- عظيم، وسام هادي عكار ، تطور سياسة اليابان الإقتصادية 1952-1973(دراسة تأريخية)، أطروحة دكتوراه)غير منشورة)، كلية التربية ابن رشد للعلوم الإنسانية، جامعة بغداد، 2014.

5-عبود، مثنى عبد الجبار ، محاولات الإصلاح والتحديث في الصين)1860-1911)، رسالة ماجستير)غير منشورة)، كلية التربية-إبن رشد، جامعة بغداد، 2010.

6- التعليم في اليابان 1868 – 1912، اطروحة دكتوراه)غير منشورة)، كلية التربية ابن رشد للعلوم الانسانية، جامعة بغداد، 2016.

ب-الاجنبية

1- Batchelor, Randal Shon, Borrowing Modernity: A Comparishion of Educational Change in Japan, China, and Thiland from the Early Seventeenth to the Mid-Twentieth Century, Ph. D. dissertation, Batchelor State university, 2005.
2- Heung, Li Yuk, Women`s Education in Meiji and the Development of Christion Girl`s School, The Degree of Dector, University Hong Kong, 1993.
3- Ravenell, K William Samuel, Fukuzawa Yukichi: Western Civilization as our Goal, Ph. D. dissertation, A Thesis Presented to the Faculty of the Graduate School of Cornell University, August 2009.
4- Sharp, Kellie E., Fukuzawa Yukichi: Confucian Entrepreneur of Meiji Japan, Ph. D. dissertation The Robert E. Cook Honors College, Indiana University of Pennsylvania,2005.

ثالثاً: الكتب العربية والمعربة

1- الهاشمي، طه، نهضة اليابان وتأثير روح الأمة في النهضة،)بغداد ، مطبعة دار السلام ، 1925).

2- بونعمان، سلمان ، التجربة اليابانية: دراسة في أُسس النموذج النهضوي، ط1،) بيروت، دار وجوه للنشر والتوزيع، 2012).

3- زين العابدين، علاء على, دراسات في الفكر والثقافة اليابانية,)القاهرة, دار العلوم للنشر والتوزيع, 2006).

4- اليابان الحديثة قضايا وآراء 1868-1911: مجلة السادس من ميجي،)القاهرة، المطابع الأميرية، 2006)

5- متشيو وأورشيا، ناجاي و ميجول ، الثورة الأصلاحية في اليابان " ميچي إشن"، ترجمة عادل عوض،)القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1992).

6- ميتسوكوني، يوشيدا, الإعادة وتأريخ التكنلوجيا، بحث في: نهضة اليابان ثورة المايجي إيشين، دراسات وأبحاث في التجربة الإنمائية اليابانية. الجذور التأريخية والأيديولوجية والحضارية لهذه النهضة, ترجمة نديم عبده وفواز خوري, ط1,)بيروت, شركة المطبوعات للتوزيع والنشر, 1993).

7- عباس، رؤوف، التنوير بين مصر واليابان: دراسة مقارنة في فكر رفاعة رافع الطهطاوي وفوكوزاوا يوكيتشي،)القاهرة، ميرت للنشر والمعلومات،2001).

8- المجتمع الياباني في عصر مايجي،)القاهرة ، دار الكتاب الجامعي، 1980).

9- عطا الله، دعد بومهلب ، اليابان من الشروق إلي السطوع،)بيروت، مكتبة لبنان، 1994).

10- شبل، فؤاد محمد، حكمة الصين: دراسة تحليلية لمعالم الفكر الصيني منذ أقدم العصور، ج1،)القاهرة، دائرة المعارف، 1967).

رابعاً: الكتب الانكليزية

1- Anderson, Ronald S., Japan: Epochs of Modern Education,)Washington, U.S. Department of Health, Education and Walfare, 1959).
2- Anderson, Ronald S., Education in Japan: A Century of Modern Development,)Washington, U.S. Department of Health, Education and Welfare, 1975).
3- Beasley, W.G.,The Meiji Restoration,(California, Stanford University Press, 1972).

4- Barr, Pat, The Coming of The Barbarians: A Story of Western Settement in Japan 1853-1870,)London, Melturne, 1967).
5- Beckmann, George M., The Modernization of China and Japan,)New York, 1962).
6- Cullen, L.M., A History of Japan, 1582-1941: Intend and External Worlds,(New York, Cambridge University Press,2003).
7- Copeland, Rebecca L. Copeland, Lost leaves: women writers of Meiji Japan,(Honolulu, University of Hawai‘i Press,2002).
8- Dower, John W., Embracing Defeat: Japan in the wake of world war II,)New York, W.W. Norton Company, Inc., 1999).
9- Huffman, James L., Creating Public: People and Press in Meiji Japan,)Honolulu, University of Hawaii press,1997).
10- Hall, Ivan P., Mori Arinori,)Cambridge, Harvard University Press, 1973).
11- Jansen, Marius, and Others, Records of Civilization: Sources and Studies, Seventh printing,)New York, Columbia University Press, 1971).
12- Jansen, Marius B., The Making of Modern,)Massachusetts, Marrard University Press,2000).
13- James, David H., The Rise and full Japanese Empire,)London, Allen & Unwin, 1952).
14- Keen, Donald, Emperor of Japan: Meiji and his World, 1852-1912,(New York, Columbia University Press,2000).
15- Lincicome, Mark E., Principle, praxis, and the politics of educational reform in Meiji Japan,(the United States of America, University of Hawai‘i Press, 1995).
16- Morris-Suzuki, Tessa, A History of Japanese Economic Thought,(London, Rutledge, 1989).
17- Meyer, Milton W., Japan: A Concise History,(London, Roman & Little Field Publishers,Inc,2000).
18- Nishi, Toshio, Unconditional Democracy Education and Politics in Occupied Japan 1945-1952,(California, Hoover Institution Press, 1982).
19- Nish, Ian, The Iwakura Mission in America and Europe A: New Assessment,)Taylor & Francis e-Library, 2005).
20- Nenzi, Laura, The Chaos and Cosmos of Kurosawa Tokiko: one woman’s transit from Tokugawa to Meiji Japan,)Honolulu, University of Hawai‘i Press, 2015).
21- Rimer, J. Thomas, Since Meiji: perspectives on the Japanese visual arts, 1868–2000, translations by Toshiko McCallum,)the United States of America, University of Hawai‘i Press, 2012).
22- Reitan, Richard M, Making a moral society: ethics and the state in Meiji Japan,(the United States of America, University of Hawai‘i Press,2010).
23- Reishchauer, Edwin O., Japan: The Story of a Nation,)New York, Alfred A: Knopf, Inc.,1974).
24- Seidensticker, Edward, This Country Japan,)Tokyo, Kodansha International, Ltd., 1980).
25- Shunraku, Nishikawa, fukuzawa Yukichi)1835 – 1901),)UNESCO: International Bureau of Education, 2000).
26- Wittner, David G., Technology and The Culture of Progress in Meiji Japan,)New York, Rutledge Taylor & Francis Group,2008).
27- Tiedemann, Arthur E.,, An introduction to Japanese Civilization,)New York, Columbia, University Press, 1974).
28- Webb, Herschel, An Introduction to Japan, 3rd. ed.,)New York, Colombia University, Press, 1960).

خامساً: البحوث والمقالات

أ-العربية

1- العلم قوام اليابان، "مجلة المقتطف" ، ج1، المجلد 30،)القاهرة، كانــون الثـاني، 1905).
2- بلاد الـيابان وأسباب إرتقائها، "مجلة المقتطف"، ج2، المجلد 22،)القاهرة، نيسان، 1898).
3- نبــأ مــن اليــابان، "مجلة المقـتطف"، ج1، المجــلد 29،(القــاهرة، آب،1904).

4- رؤوف عباس حامد، حركة المطالبة بالدستور في اليابان 1878 – 1890،المجلة التاريخية المصرية،مج22، مطبعة الجيلاوي، القاهرة ،1975.

ب-الاجنبية

1- Xiao Lang and Tian Zheng, A Comparative Study on the 1898 Reform of China and the Meiji Restoration, Journal of Zhejang University(Science), V.1, No.1,)Jan-Mar 2000).
2- Shinzo, Koizumi, Fukuzawa Yukichi, Japan Quarterly, Vol.11-No.4, Tokyo, October – December 1964.

سادساً: الموسوعات والقواميس الانكليزية

1- Kodansha Encyclopedia of Japan, Vol.1,2,5, 1st. ed.,)Tokyo, Kodansha, Ltd., 1983).
2- Sonia Benson and Other, U•X•L Encyclopedia of U.S. History,(the United States of America, Gale, Cengage Learning, 2009).
3- Chris Spackman, an Encyclopedia of Japanese History,)South Carolina, Biblio Bazaar, 2004).
4- New Age Encyclopedia, Vol.14,18th.ed.,)Lexington, Lexington, Lexington, Publications, Inc,1980).